غير مرخصة للطباعة

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُف القَرَضَاوِي

المجلد الثالث والستون

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى
١٤٤٤هـ - ٢٠٢٢م

نسخة مجانية

الدار الشامية
للطباعة والنشر والتوزيع

QaradawiBooks.com

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُف القَرَضَاوِي

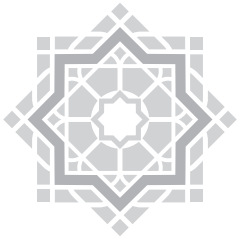

المِحْوَرُ السَّابِعُ

فِقْهُ الأُمَّةِ ودَعْوَتِهَا وصَحْوَتِهَا وحَرَكَتِهَا الإِسْلَامِيَّةِ

١١٥ رسالة الأزهر بين الأمس واليوم والغد

١١٦ الوقت في حياة المسلم

١١٧ النَّاسُ والحَقُّ

١١٨ جيل النصر المنشود

١١٩ أين الخلل؟

١٢٠ المسلمون والعولمة

١٢١ درس النكبة الثانية

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

مَوْسُوعَةُ الأَعْمَالِ الكَامِلَةِ
لِسَمَاحَةِ الإِمَامِ
يُوسُفَ القَرَضَاوِي

المحور السابـع

فقه الأمة ودعوتها وصحوتها وحركتها الإسلاميَّة

غير مرخصة للطباعة

١١٥

رسالــة الأزهــر
بين الأمس واليوم والغد
بمناسبة الاحتفال بعيده الألفي

الإمـام يوسف القرضاوي

نسخة مجانية

من الدستور الإلٰهي للبشرية

﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۞ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾

[الجاثية: ١٨ ـ ١٩].

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

من مشكاة النبوة الخاتمة

عن أبي أُمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الله وملائكته وأهل السماوات والأرضين حتى النملة في جُحْرها وحتى الحوت ليُصَلُّون على مُعَلِّم الناس الخير**». رواه الترمذي.

عن علي رضي الله عنه: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «**كتابُ الله فيه نبأُ ما قبلكم، وخبرُ ما بعدكم، وحكمُ ما بينكم، وهو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبَّار قصمه الله، ومن ابتغى الهُدَى في غيره أضلَّه الله، وهو حبل الله المتين، وهو الذكر الحكيم، وهو الصراط المستقيم، هو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسنة، ولا يشبع منه العلماء، ولا يخلق على كثرة الرد، ولا تنقضي عجائبه... من قال به صدق، ومن عمل به أُجِرَ، ومن حكم به عدل، ومن دعا إليه هُدِيَ إلى صراط مستقيم**». رواه الترمذي.

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

أحببتُ الأزهر منذ صباي، وشغفتُ به، وتمنَّيتُ أنْ أكون واحدًا من علمائه، فقد كان الأزهر في نظري معقل الدِّين والعلم، ومعهد الثقافة والأدب، ومركز الدعوة والتوجيه، وعلى أيدي علمائه في قريتنا يتعلَّم الجاهلون، ويهتدي الحائرون، ويتوب العاصون.

ولمَّا حفظتُ القرآن الكريم بعد التاسعة بقليلٍ ظللتُ أترقَّب اليوم الَّذي أدخل فيه معاهد الأزهر؛ لأتعلَّم فيه الدِّين واللغة والأدب، وأقدر على الخطابة والتدريس والوعظ، مثل مشايخ قريتي الَّذين سمعتهم في صغري، وتأثَّرت بهم: الشيخ أحمد محمَّد صقر، والشيخ أحمد عبد الله، والشيخ أحمد البتَّة، والشيخ عبد المطلب البتَّة، رحمهم الله جميعًا.

وحين قدَّر الله لي دخول الأزهر، مبتدئًا بمعهد طنطا الابتدائي، ومثنِّيًا بمعهدها الثانوي، ومثلِّثًا بكلية أصول الدين، ثمَّ بإجازة التدريس، كنت مهتمًّا بكل ما يُصلح الأزهر، ويرفع شأن أبنائه، وينهض بهم في أداء رسالتهم الَّتي هي رسالة الإسلام، ويزيل المعوقات من طريقهم، حتَّى يقوموا بمهمَّتهم خيرَ قيام.

QaradawiBooks.com

فكنتُ أحضرُ وأنا طالب في القسم الابتدائي ـ المعادل للإعدادي الآن ـ مع طُلَّاب القسم الثانوي مُمَثِّلًا لزملائي، في المناداة بمطالب الأزهريِّين، ومساواتهم بغيرهم من خريجي الجامعات المصريَّة.

وفي المرحلة الثانويَّة شاركت في عدَّة مؤتمرات عقدناها في طنطا وفي غيرها من عواصم المديريَّات (المحافظات)، حضرها ممثِّلون عن المعاهد الدينيَّة في أنحاء المملكة المصريَّة (لم تكن الجمهورية قد نشأت بعد)، حدَّدنا فيها مجموعة من المطالب، ونقلناها إلى المسؤولين بالأزهر وبالحكومة. أذكر منها:

١ ـ إدخال اللغة الإنجليزيَّة إلى معاهد الأزهر.

٢ ـ فتح باب الكُلِّيَّات العسكريَّة والمدنيَّة أمام حملة الثانويَّة الأزهريَّة.

٣ ـ فتح معاهد دينيَّة للبنات، فهنَّ نصفُ المجتمع، وطلب العلم فريضة على كلِّ مسلم ومسلمة.

٤ ـ إتاحة الفرصة للمتفوِّقين بإعادة فتح باب الدراسات العليا، وتعيين مُعِيدين بكُلِّيَّات الأزهر.

٥ ـ إعادة النظر في المناهج والكتب الدراسية.

ولم نكن نكتفي بعقد المؤتمرات، ورفع المطالب والتوصيات، بل كُنَّا أحيانًا نقيم المظاهرات، أو ندعو إلى الإضراب، وكثيرًا ما جعلنا هذا نصطدم بالشرطة، ونبيت في «الأقسام»، ونتعرَّض للإيذاء من أجل الأزهر.

وفي المرحلة الجامعيَّة تبلورت المطالب وتحدَّدت أكثر من قبل. وقد التقينا مع عددٍ من المسؤولين في الأزهر للحوار حول هذه القضايا: فكان منهم المتجاوب إلى أقصى حدٍّ، كالمغفور له الأستاذ الأكبر الشيخ

QaradawiBooks.com

محمَّد الخضر حسين، ومنهم من لم يُعِرْ هذه التطلُّعات بالًا، واعتبرها أمانيَّ بعيدةَ المنال.

ولا زلت أذكر آخر مؤتمر عقدناه وأنا طالب في تخصُّص التدريس أواخر سنة ١٩٥٣م في ساحة كلِّيَّة الشريعة بالدَّرَّاسة، حضره أبناء الكُلِّيَّات الثلاث، ومعهد القاهرة، ومعهد البعوث، وتحدَّثت فيه طويلًا عن مطالبنا وتطلُّعاتنا الدينيَّة والعِلْمِيَّة والأدبيَّة والاجتماعيَّة.

وأذكر أنَّني ابتدأتُ هذا المؤتمر الحاشد بقصيدةٍ لا زال إخواني الأزهريُّون يحفظون بعضها، ويُذَكِّرُونني بها إذا لَقُوني. ولم أعُدْ أحفظ منها إلَّا أبياتًا قليلة، فقد ضاعت فيما ضاع في أُتُون المحن المتتابعة الَّتي ابْتُلِيَتْ بها مصر، ودعاة الإسلام فيها.

من هذه الأبيات:

صَبَرْنَا إلى أنْ مَلَّ من صبرِنا الصَّبرُ ... وقُلْنَا: غدًا أَوْ بَعْدَهُ يَنْجَلِي الْأَمْرُ!
فكان غدٌ عامًا، ولو مُدَّ حَبْلُه ... فَقَدْ يَنْطَوِي فِي جَوْفِ هَذَا الغَدِ الدَّهرُ!
وقُلْنَا: عَسَى أن يُدْرِكَ الحقَّ أهلُهُ ... فَصَاحَتْ «عَسَى» مِنْ «لَا»، وَ«لَا» طَعْمُها مُرُّ!
وَمَاذَا عَلَيْنَا بَعْدَ أنْ فَارَ مِرْجَلٌ ... مِنَ الْغَيْظِ وَالْآلَامِ يَغْلِي بِهِ الصَّدْرُ؟!
سَدَدْنَا بِطُولِ الصَّبْرِ مِنَّا صِمَامَهُ ... فَزَادَتْ عَلَيْهِ النَّارُ، فَانْفَجَرَ القِدْرُ!

وفي هذه الفترة ـ ١٩٥٣/١٩٥٢م ـ بعد أن أُوقفت معارك القناة، الَّتي شارك فيها الأزهر بكتيبته الَّتي ذهبت إلى الشرقيَّة، واحتُفل بها في قاعة الشيخ محمَّد عبده بالدَّرَّاسة في يوم من أيام الأزهر الخالدة، عدنا إلى القاهرة لنُوجِّه عنايةً أكبر إلى إصلاح الأزهر من داخله، وبعث الحيويَّة في كُلِّيَّاته ومعاهده؛ ليتبوَّأ مكانَه في قيادة الأُمَّة تحتَ لواء الإسلام كما كان من قبل.

QaradawiBooks.com

وبعد تفكيرٍ وبحثٍ وحوار، قرَّرنا أن ننشـــئ لجنة ســـمَّيْناها «لجنة البعث الأزهري».

وليسمح لي القارئ أن أنقل له هنا أهداف هذه اللجنة ووسائلها كما وجدتُها في أوراقي القديمة.

لجنة البعث الأزهري

مجموعة من شباب الأزهر آمنوا بربِّهم ورسالتهم، وآلَوْا على أنفسهم أن يرفعوا صَرْحَ الأزهرِ عاليًا، أو يموتوا تحتَ أنقاضه.

*** أهدافها:**

١ ـ المساهمة في إيقاظ الوعي الإسلامي، وتكوينُ جيلٍ جديد يَفْقَهُ الإسلام ويعمل به ويجاهد في سبيله.

٢ ـ جمع أبناء الأزهر من خِرِّيجيه وطلابه حول هذا الهدف الرفيع.

٣ ـ إصلاح أوضاع الأزهر ومناهجه إصلاحًا شاملًا يُمَكِّنه من حمل رسالة القرآن إلى العالم الإسلامي والعالم الإنساني.

٤ ـ تأمين مستقبل الثقافة الإسلاميَّة المُهَدَّدة، وإيجاد الينابيع الدائمة الَّتي تصبُّ في الأزهر، وذلك بتقرير حفظ أجزاءٍ من القرآن في مدارس الدولة، وتكثير جمعيَّات التحفيظ وضمِّها إلى الأزهر.

*** وسائلها:**

١ ـ تنبيه الرأي العام في داخل الأزهر وخارجه إلى رســـالة الإسلام وقضيَّة الأزهر، وذلك عن طريق إلقاء المحاضـــرات، وتنظيم الندوات، وطبع الرسائل والنشرات.

QaradawiBooks.com

٢ ـ إعداد المراجع والتشجيع على البحث للناضجين من شباب الأزهر؛ ليتخصَّصوا في شُعَب الثقافة الإسلاميَّة المختلفة.

٣ ـ العمل على إصدار مجلَّة دوريَّة تنطق باسم شباب الأزهر.

٤ ـ العمل على أن يكون قادة الأزهر ومُوَجِّهوه من الَّذين يُبلِّغون رسالاتِ الله ويَخْشَوْنه ولا يَخْشَوْن أحدًا إلَّا الله.

وقد كلَّفني الإخوة الزملاء مُؤَسِّسو اللجنة[1] أن أبدأ بكتابة الرسالة الأولى من رسائلها، المُعَرِّفة بها، والمُعَبِّرة عن مهمَّتها.

ولم يكن أمامي إلَّا الاستجابة لهذه الرغبة، وكتبت رسالة بعنوان «رسالتكم يا أبناء الأزهر»، ولا زلت أذكر أنِّي عرضتها على الداعية الكبير الشيخ محمَّد الغزاليِّ ليقرأها ويُبدي ملاحظاته عليها، فأجاب ذلك مشكورًا، وقرأها، وقال عنها: إنَّها من أمتع ما قرأتُ، فكرةً وعاطفةً وأسلوبًا. وعرضتُها كذلك على الداعية والمُرَبِّي الجليل الأستاذ عبد العزيز كامل، فسُرَّ بها كثيرًا، ولكنَّه نصحني بأن أُخَرِّج أحاديثها، حتَّى تأخذ الصبغة العلميَّة.

وتمَّت الرسالة، وذهبتُ بها إلى المطبعة، وذلك في أواخر سنة ١٩٥٣م، ولكن أحداثًا قاهرة حدثت في أوائل سنة ١٩٥٤م، انتهت بنا إلى معتقل العامريَّة، ثمَّ إلى السجن الحربي، فتوقف عمل اللجنة، كما توقَّف طبع الرسالة، واستردتُها بعد ذلك من المطبعة. وظلَّت مطمورة ضمن أوراقي الَّتي سَلِمت من الضياع في المحن المتتابعة الَّتي لحقت بدعاة الإسلام في مصر.

(١) أذكر منهم الإخوة: أحمد العسَّال، وعلي عبد الحليم، ومحمد الراوي، ومحمد الصفطاوي، وحسن الشافعي، ومحمد عبد العزيز خالد، ومحمد الدمرداش مراد، وغيرهم ممَّن قضى نحبه وممن ينتظر.

QaradawiBooks.com

وحين بعث إليَّ الأخ الأستاذ الحسيني أبو هاشم الأمين العام لمجمع البحوث الإسلاميَّة والأخ الدكتور عبد الودود شلبي المشرف على العدد التذكاري لمجلَّة الأزهر بمناسبة عيده الألفي بطلب كتابة مقالة عن الأزهر في هذا العدد رجعتُ إلى أضابيري[١]، لأجد الرسالة القديمة مكتوبةً بخط الأخ الكريم الشاعر الأديب محمَّد حوطر[٢]، الَّذي طالما سجَّل بقلمه أحاديثي وخُطبي بمدينة المحلَّة الكبرى.

ولقد وجدت أنَّ في الرسالة أفكارًا ومعانيَ يجب أن تنشر من جديد، وإن كانت تحمل حرارة الشباب وحماسه المتوقِّد، كما رأيت أنْ أُعمل فيها يد التهذيب والإضافة والحذف والتعديل، وإنْ بقيت في جوهرها كما كانت قديمًا.

وممَّا حذفتُ منها مُقَدِّمتها؛ لأنَّ شدَّتَها لم تَعُد مناسبة للأوضاع، كما حذفتُ بعض المباحث لعدم ملاءمتها لما جدَّ من أحوال، ولأنَّ بعضَ ما نادت به قد تحقَّق فيما بعد.

وقد أعجبني فيما قرأته منها الإهداء في الصفحة الأولى، وكانت صيغته هكذا:

إلى كلِّ مسلمٍ يَعنيه مستقبلُ الأزهر.

وإلى كلِّ أزهريٍّ يَعْنِيه مستقبلُ الإسلام.

وإلى كلِّ عاقلٍ يَعْنيه مستقبلُ الإنسانيَّة.

---

(١) الأضبارة ـ بالفتح والكسر ـ هي الحُزمة من الصحف، وجمعها: أضابير. لسان العرب مادة (ض. ب. ر).

(٢) انظر ترجمته في كتابنا: في وداع الأعلام صـ ٨١١ ـ ٨١٤، نشر الدار الشامية، تركيا.

QaradawiBooks.com

أهدي هذه الرسالة.

عسى أن يتحرَّك المسلمون لتجديد رسالة الأزهر.

وعسى أن يتحرَّك الأزهريُّون لتجديد رسالة الإسلام.

وعسى أن يتحرَّك العقلاء لإنقاذ سفينة الإنسانيَّة.

كما أعجبني من تلك الرسالة خاتمتها المتوثِّبة توثُّب الشباب في كاتبها وفيمن وُجِّهت إليه، ولا بأس أن أسَجِّلها هنا كما وجدتها للتاريخ:

القضيَّة الكبرى

«حذارِ يا شبابَ الأزهر أنْ تَشْغَلَنا قضيتُنا الصغرى: قضيَّة الأزهر، عن قضيَّتِنا الكبرى: قضيَّة الإسلام، الَّذي تألَّب المتألِّبون عليه، وافترق خصومه على أمورٍ شتَّى، ولكنَّهم اجتمعوا على محاربته والكيد له، والتربُّص بأهله، والتعدِّي على حرماته، وبات يعاني الآلام، ويشكو الجراح من اليهوديَّة العالميَّة، والشيوعيَّة الدوليَّة، والصليبيَّة الغربيَّة، والنزعات القوميَّة، والشهوات الحزبيَّة، والموجات الإلحاديَّة والإباحيَّة.

وأصبحت بلادُ الإسلام نَهْبًا مُقسَّمًا في أيدي أعدائه، يستنزفون خيراتِها ويمتصُّون دماءَها، ويُوجِّهونها وِجْهَتَهم الَّتي يريدون:

كَمْ صَرَّفَتْنَا يَدٌ كُنَّا نُصَرِّفُها ... وبات يَمْلِكُنَا شَعْبٌ مَلَكْنَاهُ

أَنَّى اتَّجَهْتَ إِلَى الْإِسْلَامِ فِي بَلَدٍ ... تَجِدْهُ كَالطَّيْرِ مَقْصُوصًا جَنَاحَاهُ[1]

(١) البيتان للشاعر محمود غنيم من قصيدته وقفة على طلل، انظر: أعماله الكاملة (٧٩/١)، نشر دار الغد العربي، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م.

QaradawiBooks.com

واجبنا مضاعف

يا ابنَ الأزهر، إذا كان بعض الناس يشعر بواجبه مرَّةً واحدةً في هذه المرحلة الدقيقة الحاسمة من تاريخنا؛ فعليك أنْ تشعر بواجبك أربع مرَّات:

* أنت يا أخي مسلم:

والمسلم يعيش في هذه الحياة لهدفٍ أسمى، ورسالةٍ عُظمى، لخَّصها الله تبارك وتعالى في كتابه بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ۞وَجَٰهِدُواْ فِي ٱللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِۦۚ هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ﴾ [الحج: ٧٧، ٧٨].

فالمسلم في المحراب: عابدٌ خاشع، راكعٌ ساجد.

وفي المجتمع: بارٌّ خَيِّر، منتجٌ نافع.

وفي ميادين الكفاح: بطلٌ مجاهد، وجنديٌّ مناضل.

فإيَّاك أنْ تظنَّ نفسك كمًّا مهملًا، وسطرًا مطموسًا، فإنَّما أنت منفِّذ أحكام الله في الأرض، ووارث رسالات النبيِّين، وحامل هداية الله إلى العالمين.

اختصَّك الله بأعظمِ كتابٍ أَنزَل، وأفضلِ نبيٍّ أَرْسَل، وأكملِ دِينٍ شَرَع: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗا﴾ [المائدة: ٣].

* وأنت أخي شابٌّ:

والشباب حيويَّة هائلة، وطاقة جبَّارة، فإنَّ الَّذي خلق الشمس وأودعها الضياء، وخلق النار وأودعها الحرارة، وخلق الحديد وأودعه الصلابة؛

QaradawiBooks.com

خلق الشـــباب وأودعه الحيويَّة والعزيمة، ولو نظرتَ إلى التاريخ لرأيتَ الكثير من أعلام الهدى وأنصار الحقِّ كانوا شبابًا:

كان أتباع موسى شبابًا: ﴿ فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ ﴾ [يونس: ٨٣].

وكان أهـــل الكهف شـــبابًا: ﴿ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا۟ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ﴾ [الكهف: ١٣].

وكان من أصحاب الرسول ﷺ شبابًا، تقدَّموا الصفوف، وهل فينا مَنْ يجهل مثل عليٍّ وأسامةَ ومعاذٍ رضي الله عنهم ؟

ومن الشباب في الصدر الأوَّل مَنْ كان يحمل راية العلم في السِّلْم، وراية الجهاد في الحرب.

حفظ الشافعي القرآن وهو ابن سبع سنين، والموطَّأ وهو ابن عشر، وأفتى وهو ابن خمسَ عَشْـــرة، وصحَّح عليه الأَصْمَعِيُّ أشعار الهُذَليِّين وهو شَابٌّ[(١)].

وممَّا يفخر به تاريخ الشـــباب أنَّ قائد الكتائب الإسلاميَّة لفتح الهند الَّتي تحوي الآن أكبر دولة إســـلاميَّة «باكســـتان»، لم يكن إلَّا شابًّا في السابعةَ عشْرَةَ، ألا وهو «محمد بن القاسم» الثَّقَفي الَّذي قال عنه الشاعر:

إنَّ السَّـــمَاحَةَ وَالْمُـــرُوءَةَ والنَّـــدَا ... لِمُحَمَّدِ بْنِ الْقَاسِـــمِ بِـــنِ مُحَمَّدِ
قَادَ الْجُيُوشَ لَسَـــبْعَ عَشْرَةَ حِجَّةً ... يَا قُرْبَ ذَلِكَ سُـــؤْدُدًا مِنْ مَوْلِدِ[(٢)]

(١) قال الأصمعي: قرأت ديوان الهذليين على فتى من قريش يقال له محمد بن إدريس الشافعي. انظر: البيان في مذهب الإمام الشافعي للعمراني (٥٣٩/٤)، تحقيق قاسم محمد النوري، نشر دار المنهاج، جدة، ط١، ١٤٢١هـ ـ ٢٠٠٠م.

(٢) ذكره من غير نسبة ابن قتيبة الدينوري في عيون الأخبار (٣٣٢/١)، نشر دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٨هـ.

QaradawiBooks.com

فإذا اعتذر الشيوخ لضعف القوَّة، وغلبة اليأس، وابيضاض الرأس، وإدبار الحياة، فما لك من عذر.

*** وأنت يا أخي مثقَّف:**

قد رشفتَ من رحيقِ الثقافة، واستنار عقلُك بنور العلم، وللثقافة ضريبة لا بدَّ أن تُدْفع، وللعلم زكاة لا مفرَّ من أن تُؤدَّى، فعليك أن تُعلِّم الجاهل، وتُنبِّه الغافل، وتنشر الوعي، وتأخذ بيد الحائر.

واعلمْ أنَّك إذا قصَّرت فلن تجد من يعذرك، والجاهل قد يُعذر إذا قصَّر، فأُفُقه ضيِّق، ونظرُه قريب، وعلمُه محدود.

وقد قال شوقي: «الجاهل غريبٌ في وطنه، مقبورٌ في بدنه، رافلٌ في كفنه».

أما الَّذي نوَّر الله بصيرته بالعلم، فمسؤوليَّته أكبر، وعُذْرُه أقلُّ.

العلم فضيلة توجب لصاحبها رفعةً في الدنيا والآخرة، وهو كذلك تَبِعة توجب عليه مسؤوليَّة أمامَ الله والناس، وفي الحديث: «**لا تزولُ قدما عبدٍ يومَ القيامةِ حتَّى يُسأل عن أربعٍ: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابِه فيما أبلاه، وعن مالِه من أينَ اكتسبه، وفيما أنفقه، وعن عِلْمِه ماذا عمل به**»[1].

*** وأنت يا أخي أزهري:**

منَّ الله عليك فحفظتَ كتابه الكريم، وهداك إلى معهدٍ تدرس فيه لغة القرآن وأصول الإسلام، وعلوم الشريعة، فأنت ـ لو علمتَ ـ وارث

(١) رواه الترمذي في صفة القيامة (٢٤١٧)، وقال: حسن صحيح. وأبو يعلى (٧٤٣٤)، والبيهقي في المدخل (٤٩٤)، وصحَّحه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (١٢٦)، عن أبي برزة الأسلمي.

QaradawiBooks.com

الأنبياء، وهمزة الوصل بين الأرض والسماء، تؤدِّي أمانة العلم، وتُبلِّغ رسالة الله، رسالة محمَّد ﷺ، رسالة الإسلام.

فعليك ما على أصحاب الأمانات الكبرى من أعباء ثقيلة، وواجبات جَمَّة، فالهدف بعيدٌ، والسفرُ طويل، والحِمْلُ ثقيل، وقُطَّاع الطريق كثير، والسبيل محفوفة بالأشواك، مملوءة بالعقبات.

وعليك أن تزيل الغِشَاوات من العيون لترى، والسِّدَاد عن الآذان لتسمع، والأَكِنَّة عن القلوب لتفقه، مستعينًا بالله متوكِّلًا عليه، معلنًا في الناس: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ [الذاريات: ٥٠]. ومعك الضياء الَّذي لا يخبو، والدليل الَّذي لا ينحرف، كتاب الله «**من عَلِمَ عِلْمَه سبق، ومن قال به صدق، ومن عَمِلَ به أُجِر، ومن حَكَمَ به عدل، ومن دعا إليه هُدِيَ إلى صراطٍ مستقيمٍ**»(١).

*** يا أبناء الأزهر:**

أنتم مسلمون، فعليكم واجبٌ عظيمٌ بقدر هُدَى العقيدة الَّتي تُميِّزُكم عن الضالِّين.

وأنتم شباب، فعليكم واجبٌ ثانٍ بقدر الحيويَّة والحرارة الَّتي تُميِّزكم عن الشيوخ المُحَطَّمِين.

وأنتم طُلَّابُ علم، فعليكم واجبٌ ثالثٌ بقدر الثقافة الَّتي تُميِّزكم عن الجاهلين.

(١) رواه الترمذي في فضائل القرآن (٢٩٠٦) وقال: حديث غريب لا نعرفه إلَّا من هذا الوجه وإسناده مجهول، وفي الحارث مقال. وضعَّفه الألباني في الضعيفة (٦٣٩٣)، عن علي بن أبي طالب. ومعنى الحديث صحيح، وإن كان إسناده ضعيفًا.

QaradawiBooks.com

وأنتم حَمَلَة رسالة الإسلام، فعليكم واجبٌ رابعٌ بقدر الدراسات الإسلاميَّة الَّتي تُميِّزكم عن المدنيِّين.

غير مرخصة للطباعة

*** والآن يا أخي الأزهري:**

إنَّ مجدنا في الأولى والآخرة مرتبط بالعمل للإسلام، ونحن إنْ لم نكن به لم نكن أبدًا بغيره، وهو إن لم يكن بنا كان بغيرنا، وقد نِمنا زمنًا طويلًا، فقيَّض اللهُ للدِّين أفرادًا وجماعاتٍ نفضت عنه غُباره، وذادت عن حِياضه، ونشرت تعاليمَه، وأحيت في النفوس الأملَ في سيادته.

ولولا نهوضُ هؤلاء في غفلة الأزهر، لكانت العاقبة تسوء المؤمنين وتسرُّ الكافرين، ولكنَّ دينَ الله أعزُّ عنده من أنْ يتخلَّى عنه ويتركه بلا دعاةٍ وجنود.

فالبدارَ البدارَ يا إخوة، والعملَ العملَ للإسلام.

فإنَّ العالم الإسلامي الآن يجتاز مرحلة دقيقة من حياته، وشبابه المؤمن في كلِّ قُطْر يعمل جاهدًا من أجل دينه.

وعلينا أنْ نقوم بواجبنا الكامل في هذا الجهاد، وأن نشعل مصابيح الهدى في ليل الشكِّ الَّذي أطبق على المسلمين ظلامُه، لا ننتظرُ جزاءً إلَّا من الله الَّذي لا تضيع عنده الودائع، رابطين حاضرًا متحفِّزًا بماضٍ مجيد، متطلِّعين إلى غدٍ مزهرٍ ومستقبلٍ منير.

*** يا شبابَ الأزهر:**

تستطيعون أن تكونوا قوَّة دافعةً لهذا الركب المؤمن، وصوتًا عاليًا يجمع هذه القلوب على كلمةٍ سواء، وأدلَّاء أمناء لهذه القوافل الَّتي يحدو بها الإيمان إلى ربِّها.

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

ففي رحاب الأزهر صورةٌ مصغَّرة للجامعة الإسلاميَّة، وميدان يجب أن نصنع فيه النماذج الإسلاميَّة الكريمة.

فإذا انتشرت في قراها وأقطارها كانت خير عنوان للإسلام، واستطاعت بعزمٍ وعلمٍ وعملٍ أن تُحَوِّل الآمال إلى حقائق، والفرقة إلى وَحْدة، والتخلُّف إلى سبقٍ بعيد.

هذه مهمَّتُنا الَّتي نَدَبْنا أنفسنا لها، وينتظرها منَّا مجتمعنا، ويحاسبنا عليها ربُّنا.

فاعملوا، فسيرى اللهُ عملَكم ورسولُه والمؤمنون، وإن تولَّيتم يستبدل قومًا غيركم ثمَّ لا يكونوا أمثالكم.

الفقير إلى عفو ربِّه

يوسف القرضاوي

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

رسالة الأزهر بين الأمس واليوم والغد

من حقِّ الأزهر على نفسه، ومن حقِّ الإسلام والمسلمين عليه، أن يقف ـ وهو يحتفل بعيده الألفي ـ وقفةَ تأمُّل ومراجعةٍ هادئةٍ هادفة، ينظر فيها إلى تاريخه الحافل، وإلى حاضره الماثل، وإلى مستقبلِه المنشود، وذلك ليعرف موقعه من المجتمع، ومكانه من الأُمَّة، ووظيفته في العالم، حتَّى يُعِدَّ لذلك نفسَه ويُهَيِّئ لها أبناءه.

وكان علينا إزاء ذلك أن ننظر إلى أنفسنا وإلى العالم من حولنا، لنعرف مدى الحاجة إلى رسالة الأزهر عالميًّا وإسلاميًّا وعربيًّا، وماذا يمكن أن يُؤدِّيَه من دور.

عالم اليوم في حاجة إلى منقذ:

العالم الآن يعيش في قلقٍ: يُمْسي في تَرَقُّب، ويصبح في خوف.. الحرب الثالثة يمكن أن تقوم في لحظةٍ من لحظات فقدان التوازن، القنابل الذَّرِّيَّة والهيدروجينيَّة والصواريخ الموجَّهة تُهدِّد الإنسانيَّة بالفناء. القنبلة الواحدة من القنابل الحديثة تعادل كلَّ ما أُلْقِيَ على ألمانيا من مُدَمِّرات في الحرب العالميَّة الثانية، بل تزيد. الصراع بين المُعَسْكَرَيْن الشرقي والغربي صراعٌ حقيقي، إن اختفى شبحُه وراء المجاملات وسياسة الوفاق حينًا، فإنَّه يظهر على حقيقته في كثيرٍ من الأحيان، آلاف

الملايين ـ وربما البلايين ـ من الدولارات والروبلات والجنيهات والفرنكات وغيرها من العملات، من ميزانيَّات الدول تُنْفَقُ في الشؤون العسكريَّة والحربيَّة، أي في الاستعداد للموت والخراب. على حين يُهدِّد الموت شعوبًا بأسرها في البلاد الإفريقيَّة والآسيويَّة لما تعاني من الجوع، أو من سوء التغذية. فقد أثبتت أحدث الإحصاءات: أن ٦٠٠ مليار من الدولارات في سنة ١٩٨٢م صُرِفَتْ على التسليح والشؤون الحربيَّة، بزيادة ٩٪ عن سنة ١٩٨١م، على حين مات في العالم الثالث ٥٠ مليونَ إنسانٍ من الجوع!

المجامع الدوليَّة: هيئة الأمم المتحدة، مجلس الأمن، محكمة العدل، لم تستطع إيجادَ سلامٍ حقيقي بين الأمم، ولا نشر الأمن العالمي، ولا إقرار العدل بنصرة الحقِّ والحرِّيَّة، ومعاونة الشعوب الصغيرة، ووقف مطامع الدول الكبرى، وتقليم أظافر الاستعمار والصهيونيَّة، ولا زالت دولة مثل إسرائيل تُعَرْبد وتدمِّر، برغم قرارات هيئة الأمم ومجلس الأمن.

العلم الحديث والحضارة المادِّيَّة والاكتشافات الجبَّارة لم تُوَفِّر للإنسان الراحة والهدوء والطمأنينة والاستقرار، وإنْ وفَّرت له وسائل الرفاهية والمتعة المادِّيَّة، لم تُوَفِّر له الأمن في النفس، ولا الأمن في البيت، ولا الأمن في المجتمع، ولا الأمن في العالم الكبير. لقد استطاع العلم أنْ يصعد بالإنسان إلى سطح القمر، ولكنَّه عجز أن يُهيِّئ له السعادة على ظهر الأرض! الغرب الَّذي ملك أزمَّة التكنولوجيا يشكو من الفراغ الروحي، والقلق النفسي، والاضطراب الأمني، والتخبُّط الاجتماعي، والتفسُّخ الأسري، والتحلُّل الخلقي. وما ظاهرة «الهِيبِز ـ Hippies» وما شاكلها إلَّا نتيجة لهذا الفراغ والاضطراب؛ فهي ثورة على

QaradawiBooks.com

الحضـــارة المادِّيَّة الآلية، الَّتي تيسِّـــر للإنســـان المادَّة وتســـلبه الرُّوح، ولا يشعر معها إلَّا بتفاهة الحياة، وخلوِّها من أيِّ معنى أو رسالة.

ولقد قال بحقٍّ أحـــدُ الأمريكيِّين المعاصرين: إذا لـــم نكن واعين، فســـيذكرنا التاريخ على أنَّنا الجيل الَّذي رفع إنسانًا إلى القمر، في حين هو غائصٌ إلى ركبتَيْه في الأوحال والقاذورات[1]!

ما أشـــبه الليلة بالبارحة! ما أشـــبه العالَـــم اليوم بالعالَـــم قبل بعثة محمَّد ﷺ! كان العالَم قبل البعثـــة تتنازعه دولتان كبيرتان: دولة الفرس الكِسْرَوِيَّة في الشرق، ودولة الروم القَيْصَرِيَّة البيزنطيَّة في الغرب، وعالم اليوم تتنازعه الكتلة الشرقيَّة والكتلة الغربيَّة: روسيا الشيوعيَّة ومن يدور في فَلَكها من جانب، وأمريكا الرأســـماليَّة ومن يَحْطِـــب في حَبْلِها من جانب آخر.

كان العالم قبـــل البعثة تســـوده الجاهليَّة العميـــاء: جاهليَّة العقائد الباطلة، والأخـــلاق المنحرفة، والتقاليد الفاســـدة، والنظـــم الجائرة، والسياسات المستبدَّة.

وعالم اليوم تســـودُه جاهليَّة جهلاء، جاهليَّة علـــى الطراز الحديث: أســـوأ مَخْبَرًا وإن كانت أبهى منظرًا، جاهليَّة المادَّة الَّتـــي تُغْفِل الرُّوح، والدنيا الَّتي تُنســـي الآخرة، والعقل الَّذي يُنكر القلـــب، والغريزة الَّتي تغلب العقل، والأَثَرة الَّتي تطغى على الإيثار، والفوارق الَّتي تبغي على الأُخُوَّة، والقوَّة الَّتي تسطو على الحقِّ، والشهوة الَّتي تهزم الفضيلة! عالَم اليوم كعالَم الأمس، عالَم ما قبل الإســـلام: شـــبح بـــلا رُوح، وصورةٌ

(١) نقلًا عن إنسانية الإنسان لرينيه دوبو صـ ٢٣٠، ترجمة د. نبيل صبحي الطويل، نشر مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

QaradawiBooks.com

بلا حقيقة، ومبنًى بلا معنى، وبناءٌ بلا أساس، وسراجٌ بلا زيت! وما ذلك إلَّا أنَّه دُنْيا بلا دين، وعلمٌ بلا إيمان، وإنسانٌ يحيا بغير معاني الإنسان! ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

عالَم اليوم على شَفا حُفْرة من النار، فمن يُنقذه منها؟ من يكون «رجلُ المطافئ» الَّذي يُمسك بخُرْطومه ليُطفئ النَّار قبل أن يتطاير شررُها، ويتفاقم خطرُها، ويكون وقودُها النَّاسَ والعمرانَ؟!

حاجة البشريَّة إلى أُمَّة ذات رسالة:

البشريَّة في حاجة عارمة أن تُلقي بزمامها إلى أُمَّة ذات رسالة وذات دِينٍ يطفئ سُعارها المادِّي، ويروي ظمأها الرُّوحي، ويملأ فراغها العقائدي، ويُخَلِّصها من أخطار القلق الفكري، والصراع النفسي، والاضطراب الاجتماعي، والتناحر السياسي، والتنافس الحربي.

تُرى من تكون هذه الأُمَّة الَّتي يشرئبُّ إليها عُنُق الزمن، ويرنو إليها بَصَرُ التاريخ؟

إنَّها لا بدَّ أن تكون أُمَّةً ذاتَ دين.

أُمَّة اليهود لا تصلح لحمل رسالة الإنقاذ:

مستحيلٌ أن تكون أُمَّةَ اليهود! والتوراة المحرَّفة بما فيها من كذب على الله وافتراء على أنبيائه، والتلمود بما فيه من تعاليم همجيَّة وأحكام غير أخلاقيَّة، تستبيح كلَّ ما عدا اليهود: دماءً وأعراضًا وأموالًا.. ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ﴾ [آل عمران: ٧٥]، لا يصلحان نبعًا لهداية العالم الحائر.

QaradawiBooks.com

واليهوديَّة ليست دينَ امتدادٍ وانتشار، والعنصريَّة بارزة في هذا الدِّين الَّذي يجعل من بني إسرائيل «شعب الله المختار»، ويجعل ربَّ الناس «ربَّ إسرائيل» لا غير! واليهوديَّة خالية من الدفعة الروحيَّة الَّتي تحتاج إليها البشريَّة اليوم، واليهود أبعد الناس أن يكونوا جيشَ الخلاص وسفينة الإنقاذ للعالم.

إنَّ الشعب المتمرِّد على أنبيائه «الصُلْب الرقبة»، كما عبَّر كتاب اليهود نفسه: «التوراة»[1]!

و«خراف بني إسرائيل الضالة»، و«أبناء الأفاعي»[2] كما عبَّر الإنجيل!

وقتلة الأنبياء ممَّن ﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [المائدة: ٦٠] كما عبَّر القرآن.

ومصدر القلاقل والفساد في الأرض، في شتَّى البقاع، كما عبَّر التاريخ.

وجرثومة الفتن والاضطرابات في العالم شرقيِّه وغربيِّه، كما يعبِّر الواقع.

هؤلاء لا يمكن أن يكونوا حَمَلَة رسالة الهداية والإنقاذ للبشريَّة المُعَذَّبة؛ ففاقد الشيء لا يعطيه.

أجل، فهم عبدة المال، وسدنة الربا، وتُجَّار الحروب، وسماسرة الموت، وهم وراء كلِّ فسادٍ وشذوذٍ واضطرابٍ في دنيا الناس. وإنَّ ما فعلوه في فلسطين مع أهلها العرب من قبل، وما فعلوه في بيروت وصبرا وشاتيلا من بعد؛ لأنصعُ برهان على أنَّهم أبعدُ الناسِ عن حمل رسالات الله.

(١) في أكثر من موضع، منها على سبيل المثال: سفر الخروج (٩/٣٢).

(٢) انظر: إنجيل متَّى (٣١/٢٣ ـ ٣٣).

QaradawiBooks.com

الأمم المسيحيَّة لا تصلحُ للإنقاذ:

ولا يمكن أن تكون أممَ المسيحيَّة.

فالعالم الَّذي تسوده المسيحيَّة وتُحَرِّك أزرارَه أصابعُ الكنيسة المختفية، هو صاحب الزعامة العالميَّة منذ قرون، ولكنَّه أفلس في إشاعة الحقِّ والخير، وإقرار المحبَّة والسلام، وإرساء قواعد الأمن والإيمان.

العالم المسيحي حكم الدنيا بروحٍ صليبيَّة لا برُوحٍ مسيحيَّة، وفرقٌ كبير بينهما: المسيحيَّة عنوانها المحبَّة والمسامحة، والصليبيَّة عنوانها الحقد والتعصب! المسيحيَّة تقول: من ضربك على خدِّك الأيمن فأدرْ له خدَّك الأيسر، ومن سخَّرَك لتسير معه ميلًا، فسر معه مِيلَيْن، ومن سرق قميصَك فأعطِه إزارك[1]! والصليبيَّة تقول: من فتح لك بابه، فادخل داره، واسرق متاعه، وأفسد عليه زوجتَه وأولادَه، ومن لم يفتح لك الدار، فاكسِر الباب، أو اثقُب الجدار!

على أنَّ المسيحيَّة نفسها ـ بعيدة عن الصليبيَّة ـ لا تستطيع أن تكون قوَّة حقيقيَّة تواجه الأفكار المادِّيَّة الجديدة، «فهي ديانة فرديَّة انعزاليَّة سلبيَّة، لا تملك الحياة أن تنمو في ظلِّها النموَّ الدائم الفعَّال. ولقد أدَّت المسيحيَّةُ دورَها المحدودَ في حياة البشريَّة، ثمَّ عجزت عن مسايرة الحياة العمليَّة في الأجيال المتلاحقة؛ لأنَّها جاءت لفترة زمنيَّة محدودة بين اليهوديَّة والإسلام، فلمَّا استمسكت بها أوروبا لظروف تاريخيَّة معيَّنة، وعجزت عن مسايرة الحياة المتطوِّرة، انعزلت في المعبد، وفي الوجدانات الفرديَّة، ولم تسيطر على الحياة الدافقة، لأنَّها لا تملك قوَّة الاستمرار والتطوُّر والنماء.

(١) انظر: إنجيل متَّى (٣٩/٥ ـ ٤٢)، وإنجيل لوقا (٢٩/٦ ـ ٣٠).

QaradawiBooks.com

المسيحيَّة لا تستطيع بغير تمحُّل أن تجاريَ النظم الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة الدائمة التطوَّر؛ لأنَّه ليس في صميمها أيَّة فكرة عن الحياة الواقعيَّة العمليَّة»[1].

ولقد تمرَّدت العقليَّة العلميَّة بالأمس على المسيحيَّة لوقوفها في وجه التفكير العلمي والاكتشاف العلمي، وهو الأمر الَّذي انتهى بفصل الدَّوْلة في الغرب عن الدِّين، وهو ما عرف باسم «العِلمانيَّة». واليوم تتمرَّد العقليَّة اللاهوتيَّة نفسها على العقيدة الرسميَّة المسيحيَّة الموروثة، عقيدة «تأليه المسيح»، فقد أصدر ستَّةٌ من كبار القساوسة عندهم كتابًا أنكروا فيه ألوهيَّة المسيح، وأثبتوا فيه أنَّه ليس إلَّا إنسانًا مرسلًا من الله تعالى، وهو عين ما قرَّره الإسلام منذ أربعةَ عشرَ قرنًا.

لم يبق إلَّا أُمَّةُ الإسلام وعالَمُ الإسلام.

الأُمَّة الإسلاميَّة هي صاحبة الدَّوْر التالي على مسرح التاريخ، هي صاحبة الرسالة المقبلة، رسالة إنقاذ البشريَّة من الغرق.

الأُمَّة الإسلاميَّة وحدَها المرجوَّة للإنقاذ:

الأُمَّة الإسلاميَّة وحدها هي صاحبة الرسالة الربَّانيَّة الإنسانيَّة العالميَّة العامَّة الخالدة، رسالةِ الإسلام الَّذي يُقدِّم للنفس عقيدةً تلائم الفطرة، ويُقَدِّم للمجتمع نظامًا يلائم تطوُّرات الحياة، ويقدم للإنسانيَّة «أُمَّةً وسطًا» تدعو إلى الخير وتأمر بالمعروف وتَنْهى عن المنكر.

العالَم الإسلامي يستطيع أنْ يجعل من نفسه الكتلة الثالثة الَّتي تحفظ التوازن، وتقيم ميزان العدل والسلام، الكتلة الَّتي تربطها العقيدة

(١) انظر: العدالة الاجتماعية في الإسلام للشهيد سيد قطب صـ ٢٩١، ٢٩٢، ط ٨، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.

QaradawiBooks.com

والمصالح والتاريخ والآلام والآمال، الكتلة الَّتي لا تساير إحدى الكُتْلَتَيْن، وإنَّما تساير الحقَّ والعدالة والحُرِّيَّة، وتحارب البغيَ والاستعبادَ والعدوانَ حيثما كان، ومن أيِّ مصدر كان. إنَّها ليست شيوعيَّة ولا رأسماليَّة، ليست شرقيَّة ولا غربيَّة، ولكنَّها قرآنيَّة مُحمَّديَّة ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ﴾ [النور: ٣٥].

والعالَم الإسلامي غنيٌّ بمصادر الإلهام من كتاب ربِّه وسيرة نبيِّه وتاريخ أبطاله.. غنيٌّ بثروته المادِّيَّة، ورقعته الفسيحة، وموقعه الخطير في آسيا وإفريقيا.. غنيٌّ بشعوبه المؤمنة الطيِّبة النقيَّة الَّتي تتَّجه إلى القِبْلة كلَّ يومٍ خمس مرات، وتصوم وتقوم لله تعالى شهرًا كلَّ عام إيمانًا واحتسابًا، وتلتقي كلَّ عام في الأرض المُقَدَّسة على كلمة الله، وقد استقلَّ أكثرُ شعوبه، والباقي في طريقه إلى التحرُّر الكامل من آثار الاستعمار والاستعباد.

ولكنَّ عالَم الإسلام يحتاج إلى وحدة الكلمة، وإلى قيادة مؤمنة، وإلى تضحيات غالية.

ترى من يقود الركب، ويحقِّق الوحدة، ويشعل جذوة التضحيَّة والجهاد؟

رسالة العالم العربي ودوره في أُمَّة الإسلام:

وإذا كان العالَم الإنساني يرنو ببصره إلى زعامة العالَم الإسلامي، وإلى الأُمَّة الإسلاميَّة، فإنَّ العالم الإسلامي يرنو ببصره إلى زعامة العالَم العربي، وليس هذا رأيُ العربِ في أنفسهم فحَسْب، ولكنَّه رأيُ المسلمين فيهم.

QaradawiBooks.com

واستمع إلى رأي داعية من أكبر دعاة الإسلام في الهند بل في العالم، يقول العلَّامة السيد أبو الحسن الندوي: «إنَّ العالم العربي له أهمِّيَّة كبيرة في خريطة العالم السياسيَّة، وذلك لأنَّه وطنُ أممٍ لعبت أكبر دورٍ في التاريخ الإنساني، ولأنَّه يحتضن منابع الثروة والقوَّة الكبرى: الذهب الأسود الَّذي هو دمُ الجسمِ الصناعيِّ والحربيِّ اليوم، ولأنَّه قلب العالم الإسلامي النابض، يتَّجه إليه روحيًّا ودينيًّا، ويدين بحُبِّه وولائه، ولأنَّه عسى ـ لا قدَّر الله ـ أن يكون مَيْدان الحرب الثالثة، ولأنَّ فيه الأيدي العاملة، والعقول المُفَكِّرة، والأجسام المقاتلة، والأسواق التجاريَّة والأراضي الزراعيَّة، ولأنَّ فيه مصرَ ذاتَ النيل السعيد، بإنتاجها ومحصولها وخَصْبها وثروتها ورُقِيِّها ومَدَنِيَّتها، وفيه سوريا وفلسطين وجاراتها، باعتدال مناخها وجمال إقليمها، وأهميتها الإستراتيجيَّة، وبلاد الرافدين بشكيمة أهلها، ومنابع البترول فيها، والجزيرة العربيَّة، بمركزها الرُّوحي وسلطانها الديني، واجتماع الحجِّ السنوي الَّذي لا مثيل له في العالم، وآبار البترول الغزيرة. كلُّ ذلك قد جعل العالمَ العربي محطَّ أنظار الغربيِّين، وملتقى مطامعهم، ومَيْدَان تنافسٍ لقيادتهم، وكان ردُّ فِعْلِه أن نشأ في العالم العربي شعورٌ عميقٌ بالقوميَّة العربيَّة، وكثُر التغنِّي «بالوطن العربي، والمجد العربي».

ولكنَّ المسلم ينظر إلى العالم العربيِّ بغير العين الَّتي ينظر بها الأوروبي، وبغير العين الَّتي ينظر بها الوطن العربي، إنَّه ينظر إليه كمَهْدِ الإسلام ومَشْرِق نُورِه، ومَعْقِل الإنسانيَّة، وموضع القيادة العالميَّة، ويعتقد أنَّ سيدنا محمَّدًا العربي هو رُوح العالم العربي وأساسه، وعنوانُ مَجْدِه، وأنَّ العالمَ العربي ـ بما فيه من موارد الثروة والقوَّة، وبما فيه من خيراتٍ وحسنات ـ جسمٌ بلا رُوح، وخطٌّ بلا وُضوح، إذا انفصل ـ لا سمح الله ـ

QaradawiBooks.com

عن سيِّدنا رسولِ الله وقطع صلتَه بتعاليمه ودينِه، وأنَّ سيِّدَنا رسولَ الله ﷺ هو الَّذي أبرز العالـــم العربي للوجـــود، فقد كان هـــذا العالم وحدات مفكَّكة، وقبائل متناحرة، وشـــعوبًا مســـتعبَدة، ومواهب ضائعة، وبلادًا تتسكَّع في الجهل والضلالات، فكان العرب لا يَحْلُمون بمناجزة الدول الروميَّة والفارســـيَّة، ولا يخطر ذلك منهم على بال، ولا يُصدِّقون بذلك إذا قيل لهم في حالٍ من الأحوال. وكانت سوريا الَّتي تكوِّن جزءًا مهمًّا من العالم العربي مستعمرةً روميَّة تعاني الملكيَّة المطلقة، والحكم الجائرَ المســـتبدَّ، لا تعرف معنى الحرية والعدل. وكان العراقُ مَطِيَّةً لشـــهواتِ الدولة الفارســـيَّة، مُثْقَلةً بالضرائب المُجْحِفة والإتاوات الفادحة. وكانت مصر قد اتَّخذها الرومانُ ناقةً حَلوبًـــا رَكوبًا، يَجُزُّون صوفها، ويظلمونها في عَلَفِها، ثمَّ إنَّها تُعاني الاضطهاد الديني، مع الاستبداد السياسي، فما لبث هذا العالم المفـــكَّك المنحَلُّ، المظلومُ المضطهـــد، أنْ هبَّت عليه نفحةٌ من نفحات الإســـلام الَّـــذي جاء به محمَّد ﷺ، فأحيـــاه بإذن الله، وجعل له نورًا يمشـــي به في الناس، وعلَّمه الكتـــاب والحكمة وزكَّاه؛ فكان هذا العالم بعد البعثة المُحمَّديَّة، ســـفير الإســـلام، ورسول الأمن والســـلام، ورائد العلـــم والحكمة، ومِشْـــعَل الثقافة والحضـــارة. فلولا محمَّد ﷺ، ولولا رسالته، ولولا مِلَّته، ما كانت سوريا، ولا كان العراق، ولا كانت مصـــر، ولا كان العالم العربي، بل ولا كانـــت الدنيا كما هي الآن: حضارةً وعقلًا وديانةً وخلقًا؛ فمن اســـتغنى عن دين الإســـلام من شـــعوب العالم العربي وحكوماته، وولَّى وجْهَه شـــطر الغـــرب أو أيام العرب الأولى، واســـتلهم قوانين حياته أو سياســـته من شـــرائع الغرب ودساتيره، ولم يرضَ برســـول الله قائدًا ورائدًا وإمامًا وقدوة، فليردَّ على محمَّد بن عبد الله ﷺ نِعْمَتَه، ويرجع إلى جاهليَّتِه الأولى، حيث الحكم

QaradawiBooks.com

الروماني والإيراني، وحيث الجهل والضلالة، وحيث الغفلة والبَطالة، وحيث العزلة عن العالم، والخمول والجمود، فإنَّ هذا التاريخ المجيد، وهذه الحضارة الزاهية، وهذا الأدب الزاخر، وهذه الدول العربيَّة، ليست إلَّا حسنة من حسنات محمَّد ﷺ.

فالإسلام هو قوميَّة العالم العربي، ومحمَّد ﷺ هو رُوح العالم العربي وإمامُه وقائده، والإيمان هو قوَّة العالم العربي الَّتي حارب بها العالَم البشري كلَّه فانتصر عليه، وهو قوَّتُه وسلاحه اليوم كما كان بالأمس، به يقهر أعداءه، ويحفظ كِيَانه، ويؤدِّي رسالته»[1].

أثبتنا هذا النقل الطويل ليعلم دعاة القوميَّة المادِّيَّة العِلمانيَّة أنَّ العرب بغير إسلامٍ جنديٌّ بلا سلاح، وطائرٌ بلا جَنَاح، وأنَّ القوميَّة العربيَّة الَّتي قال بعض زعمائهم: إنَّها تُقْلِقُ الغرب وتُخيفه، ليست هي القوميَّة الجافَّة الخالية من الرُّوح، المعزولة عن الدِّين، فإنَّما يخشى العَرَب ويحسب حِسَابَهم لأجْل رسالتهم الَّتي صنعتهم من قبل، ويُرجى أن تصنعهم من بعد.

التقى أحد الزعماء العرب بأحد القوَّاد الإنجليز، فسأله: لماذا يعارض الإنجليز أمانيَّ العرب في الحُرِّيَّة والاستقلال؟ فقال القائد الإنجليزي بصراحة: «إنَّكم أيُّها العرب لستم جنسًا عاديًّا من الناس، ولكنَّكم أصحاب رسالة تستطيعون بها أن تغيِّروا وجه العالم»!

وما عسى أن تكون هذه الرسالة إلَّا رسالة الإسلام؟!

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين صـ ٢٩٧ ـ ٢٩٩، نشر دار القلم، الكويت، ط ٨، ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م.

QaradawiBooks.com

دور مصر في رسالة الإنقاذ:

العالمُ الإنسانيُّ يرنو إلى العالم الإسلامي، والعالَم الإسلاميُّ يرنو إلى العالم العربيِّ، والعالمُ العربيُّ يرنو إلى مصر. وهذا ليس رأيُ المصريِّين في أنفسهم، ولكنَّه رأيُ العرب والمسلمين فيهم.

هذا رئيس جمعيَّة العلماء بالجزائر العالم الأديب المجاهد المصلح المجاهد الشيخ محمَّد البشير الإبراهيمي يقول في مقالة له ينادي فيها مصر: «أنتِ اليومَ مَثَابة العروبةِ، في ثراك حيَّ بيانُها، وبَسَقَتْ أفنانُها، وفي رِياضِكِ تفتَّحت أزهارُها، وغرَّدت بلابلُها، ففي ذمَّة كلِّ عربيٍّ حرِّ الدمِ لكِ دَيْن واجبُ الوفاء، وهذا أجلُ الوفاء.

وأنتِ اليومَ قِبْلَةُ المسلمين: يولُّون وُجوهَهم إليك كلَّما حَزَبَهم أمر، أو حلَّت بهم مُعْضِلَة، وينفرون إلى معاهدك يمتارون العلمَ منها، وإلى كُتُبِكِ يُصَحِّحون الفكر والرأيَ عنها، وإلى علمائِكِ يتلقَّون الفتيا الفاصلة في الدِّين والدنيا عنهم، فلكِ ـ بذلك ـ على كلِّ مسلمٍ حقٌّ، وهذا أوانُ الحاجة إليها.

وأنتِ اليومَ مَأْرِزُ (ملجأ) الإسلام، فكلَّما سِيم الهوانَ في قُطْر، أو رماه زِنْدِيقٌ بنقيصةٍ، فزع إليكِ، واستجاركِ، يتلمَّس الغوثَ، ويستمدُّ الدفاعَ، فلكِ على المسلمين في المشارق والمغارب فضلٌ لدينهم، وعليهم أن يَطِيروا خفافًا وثقالًا لنصرتكِ، ثمَّ لا منَّة لهم عليكِ ولا جميل.

وكيف بكِ ـ مع هذا ـ لو كنتِ مظهرًا للإسلام الصحيح، ولمُثلِه العليا في العقائد والأعمال والأحكام؟! إذن لكنتِ قدوةً في إحياء سُنَنه الَّتي أماتتها البدع، وفي إقامة أعلامه الَّتي طمستها الجهالات، وفي بعْثِ

QaradawiBooks.com

آدابه الَّتي غطَّت عليها سخافات الغرب، وفي نشر هدايته الَّتي طوتها الضلالات، إذن لحييتِ وأحْيَيْتِ.

ومن الغريب أنَّكِ قادرةٌ على تغيير ما بكِ من هذه الأدران؛ ثمَّ لم تغسلي، وأنَّكِ قادرةٌ على إعادة الإسلام إلى رسومه الأولى؛ ثمَّ لم تفعلي. ويمينًا مرَّة لو فعلتِ لما حَلَّ بك ما حلَّ، ولو فعلتِ لقُدتِ المسلمين بزمام، ولكنتِ بهم للعالَم كلِّه إمامًا أيَّ إمام!»[1].

ويقول السيد أبو الحسن الندوي في مقاله «اسمعي يا مصر»: «كوني يا مصرُ رسولَ الإسلامِ إلى الغرب، واحملي إليه رسالةَ محمَّدٍ ﷺ، تلك الرسالة الَّتي حملها العربُ إلى الأُمَّة الفارسيَّة والأُمَّة الروميَّة، فأنقذتهما من مخالب الموت. وأفاضت عليهما ثوبًا قشيبًا من الحياة، ولونًا جديدًا من النشاط، وليس الغرب بأقلِّ حاجةٍ إلى هذه الرسالة ـ وهو في دَوْر التفكُّك وتنازع الموت والحياة ـ من الأُمَّة الروميَّة والفارسيَّة إليها.

إنَّ أوروبا قد شاخت ونضجت كالفاكهة الَّتي أَدْرَكَتْ وضعُفَ الغُصْنُ عن حَمْلها.

فاستعدِّي يا مصرُ الإسلاميَّة لتحُلِّي مَحَلَّها في الزعامة العالميَّة، وقيادة الأمم، وما ذلك بعزيزٍ ولا مستحيلٍ، إذا تمَّ استعدادُك الرُّوحي والخُلُقي والمادِّي.

وإذا كانت أوروبا قد احتفظت بالقيادة العالميَّة هذه المدَّة الطويلة، وليست عندها رسالة عامَّة للإنسانيَّة، ولا دعوة مخلصة لأمم العالم، وعندها كلُّ ما يضعف ثقة العالم بها، من وطنيَّة وعنصريَّة، وتقديس

(١) آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (٤٩٦/٣)، جمع نجله د. أحمد طالب الإبراهيمي، نشر دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٧م.

QaradawiBooks.com

للنسل الآدمي، وإدلال باللون الأبيض، ونزعة تجاريَّة واستعماريَّة، فكيف لا يرضى العالم بقيادتك وعندك الرسالة الَّتي تضمن سعادة العالم كلِّه، والدِّين الَّذي لا يُفَرِّق بين الأوطان والعناصر والألوان؟»[1].

ذلك هو رأي العرب، وهذا هو أمل المسلمين في مصر، بموقعها الهامّ بين قارات الدنيا، وبنيلها العظيم، وأرضها الخصبة، ومساحتها الرَّحْبة، وقناتها الَّتي تُعَدُّ شريان التجارة للعالم، مصر بتاريخها العريق، وحاضرها المتوثِّب، ومستقبلها الزاهر المنشود. مصر بشَعْبها الأصيل الَّذي تراه في السلم أنعم من الحرير، وفي البأس أشدَّ صلابةً من الحديد. مصر بأزهرها العتيد ونهضتها العلميَّة والأدبيَّة، وثقافتها الموروثة والمكتَسَبة، وبمركزها وسلطانها، ومنزلتها عند أبناء العرب خاصَّة والمسلمين عامَّة.

مصر بقدراتها المادِّيَّة والمعنويَّة تستطيع أن تقود رَكْب تجميع العرب، وتوحيد كلمتهم، ثمَّ تمدُّ رواقَها إلى العالم الإسلامي كلِّه، والشعوب معها، يومَ تفعلُ ذلك باسم الإسلام، وتحت راية محمَّد ﷺ.

تستطيع مصر أن تتزعَّم الكتلة الثالثة الَّتي يحتاج إليها العالم لأمنه وسلامه واستقراره، الكتلة الإسلاميَّة الَّتي تمتد من إندونيسيا إلى الرباط، هي الكتلة الَّتي تحفظ التوازن، وتنصر الحقَّ، وتنشر الخير، وتقيم الموازين القسط بين الناس كلِّ الناس.

فليتَ شِعْري هل تؤدِّي مصرُ الأمانة، وتُحقِّق الأمل، وتحمل رسالةَ الإسلام إلى العالَمين؟

---

(١) رسالة اسمعي يا مصر صـ ٩، ١٠، نشر المجمع الإسلامي العلمي، ندوة العلماء، لكناؤ، الهند، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م.

QaradawiBooks.com

رسالة الأزهر في إنقاذ البشريَّة:

وإذا كانت آمال العرب والمسلمين تتَّجه إلى مصر، فإنَّ مصر بدورها تتَّجه إلى الأزهر، وهو أكبر عامل هيَّأ لمصر بين شعوب الإسلام هذه المكانة، وبوَّأها هذه الزعامة.

الأزهر الَّذي أدَّى في الماضي دَوْره الروحيَّ والعلميَّ والأدبيَّ والاجتماعيَّ والقوميَّ حتَّى احتلَّت مصر في الشرق الإسلامي هذا المكان المرموق، عليه أن يقوم بدوره الجديد في الحاضر، ليأخذ مِقْعَده في الصفوف الأولى كداعيةٍ إلى الإسلام الحقيقي، وموقظٍ لشعبِ مصر المؤمن، وموجِّه لشعوب العالم العربي والإسلامي، ومُرَبٍّ لدعاةٍ ومصلحين يَنْبَثُّون في أرجاء هذا العالم كالأشعَّة الَّتي تحمل النور والحرارة والحياة.

ويحسن بنا إذا أردنا أن نتصوَّر دور الأزهر اليوم، أنْ نُلقي الضوء على دوره بالأمس، وما قدَّمه للأُمَّة عبر تاريخه الحافل، وهو تاريخ يجرُّ وراءه ألفَ سَنَةٍ أو تزيد، في الحفاظ على العلم واللغة والدِّين، تعرَّضت فيها الثقافة الإسلاميَّة لنكبتَيْن ماحقتَيْن مدمِّرتَيْن: نكبة بغداد في الشرق على يد «التتار» الَّذين لم يكتفوا بقتل الآدميِّين وتذبيحهم، حتَّى سالت الميازيب دمًا في الشوارع، ولكنَّهم أرادوا تخريب العمران، وطمس معالم الحضارة والعلم الإسلامي، فرمَوْا بالمكتبة الإسلاميَّة الزاخرة إلى نهر دِجْلة، فجرى ماءُ دجلةَ أسودَ اللون لكثرةِ ما خالطه من مِدَاد الكُتُب.

ونكبة الأندلس بالغرب، على يد «الإسبان» المتعصِّبين، الَّذين قَضَوْا على تلك الحضارة الإسلاميَّة الزاهرة، الَّتي ظلَّت منارة هادية في أوروبا ثمانية قرون، وتمزَّقت أشلاء المكتبة الإسلاميَّة ما بين إسبانيٍّ

QaradawiBooks.com

ثَمِلٍ بخَمْرة النصر، ومسلمٍ يلوذُ بالفرار هربًا بنفسه ودينه من براثن المتعصِّبين الصليبيِّين.

في هذه العصور الَّتي أُصيبَ فيها المسلمون بما أُصيبوا، ظلَّ الأزهرُ سماءً لا تطاولُها سماء، تلمع فيها كواكب الهداية والنور، وظلَّ المَهْجَر والمأوى لطُلَّاب العلم، وللعلماء المُشَرَّدين والمضطهدين في كلِّ مكان، وصار أكبرَ همِّه أنْ يركبَ الصعب والذَّلُول، ويمتطي البحرَ والبرَّ، ويرحل إلى المشرق والمغرب، ليحفظ البقيَّة الباقية من تراث الإسلام، ويجمع ما تفرَّق، ويضمُّ ما تناثر، ويدوِّن وينشر ما يوشك أن يضيع، ويُصنِّف ويؤلِّف، عوضًا عمَّا ضاع، وتكميلًا لما بقي.

وكانت السوق الرئيسيَّة للعلم والأدب والفلسفة في مصر حيث الأزهر، فمنه وإليه تقوم حركة الاستيراد والتصدير العلمي، إليه يحجُّ العلماء منضمِّين إلى أسرته، ناهلين من حياضه، ومنه ينتشر العلماء معلِّمين وموجِّهين، أو باحثين ومستزيدين.

وبالجملة فتاريخُ الأزهر العلمي والأدبي في تلك القرون هو من تاريخ مصر وهذه المنطقة كلِّها بمنزلة الرأس من الجسد أو القلب الخافق بالمشاعر والوجدان.

شهادة التاريخ:

على أنَّ الأزهر كان له بجوار دوره العلمي دورٌ توجيهي واجتماعي وسياسي، شهدت له به صحائف التاريخ، فقد كان الأزهر مُعلِّم الشعب ومرجعه في النوازل، وحامي حِمَى الدين، وحارس لغة القرآن، وناشر العلم والثقافة، وحامل لواء التربية والتوجيه.

QaradawiBooks.com

كان من أبنائه المعلِّمون والقضاة، والمفتون والوعَّاظ، والمرشدون والأئمَّة والخطباء، والكتَّاب والشعراء، والمؤلِّفون والباحثون، والعلماء والرياضيُّون والطبيعيُّون، فكان كما قيل: «كلُّ الصيدِ في جَوْف الفَرَا»[١].

كان الجامع الأزهر برلمان الأُمَّة، وكان علماؤه نوابها الَّذين لا يبتغون جاهًا، ولا يتناولون أجرًا. كان قولُه الفصلَ، وحكمُه هو العدلَ، ورأيُه هو المسموعَ، وأمرُه هو المطاع، يولِّي الملوكَ، ويعزل الأمراءَ، ويضعُ التِّيجان على رؤوس من شاء، ويُسقطها عمَّن أراد، وهو في المُلْكِ زاهد، وعن الإمارة راغب. وحسْبه أنَّه اختار لنفسه أن يكون الموجِّه والمراقب والمشير، على حدِّ قول أبي الأسود الدؤلي: الملوك حُكَّام على الناس، والعلماءُ حُكَّام على الملوك[٢]. وهو ما نظمه الشاعر فقال:

إنَّ الْأَكَابِرَ يَحْكُمُونَ عَلَى الْوَرَى وَعَلَى الْأَكَابِرِ يَحْكُمُ الْعُلَمَاءُ[٣]**!**

وكان الأزهر مُوقِدَ الثوراتِ الشعبيَّة ومُغَذِّيها، وقائدها ضدَّ كلِّ استعمارٍ من الخارج، أو ظلمٍ من الداخل. ولا زال التاريخ يسطِّر بحروفٍ من نورٍ موقفَ علماء الأزهر من الحملة الفرنسيَّة، ومن ظلم بعض الولاة العثمانيِّين، ومن طغيان بعض المماليك.

---

(١) وهو مثل قديم، أصله أنَّ قومًا خرجوا للصيد، فصاد أحدُهم ظبيًا، وآخر أرنبًا، وآخر فَرًا ـ وهو الحمار الوحشي ـ فقال لأصحابه: كلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الفَرَا، أَي جميع ما صِدْتُموه يسيرٌ فِي جَنْبِ مَا صِدْتُه. انظر: جمهرة الأمثال للعسكري (١٦٢/٢)، نشر دار الفكر، بيروت. والمعنى أنَّ الأزهر يقوم مقام الكثرة من غيره، ولا يقوم أحد مقامه.

(٢) عيون الأخبار (١٣٧/٢).

(٣) عزاه إلى فتح الدين سعيد بن يحيى بن عبد الخالق الخراساني الكاتب: الشيباني في مجمع الآداب (٤٩٨/٢)، تحقيق محمد الكاظم، نشر مؤسسة الطباعة والنشر، وزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، إيران، ط١، ١٤١٦هـ، وعزاه إلى ذي اللسانين النطنزي: الصفدي في الوافي بالوفيات (١٩٧/١٢)، تحقيق أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، نشر دار إحياء التراث، بيروت، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م.

QaradawiBooks.com

الأزهر في مقاومة الاحتلال:

كان نابليون يحسب أنَّ مصر ستفتح له ذراعيها بمجرَّد وصول حملته إليها، ولكنَّه فوجئ من بني مصر بثورات عارمة، ومقاومة باسلة يقوم بها شعبُ مصر الأعزل؛ أمام القوات الفرنسيَّة المسلَّحة بالحديد والنار.

وإنِّي لأُحِسُّ بالنشوةِ والفخر كلَّما قرأتُ تاريخ تلك الحقبة، ووجدتُ الأزهر هو العقلَ المدبِّرَ واليدَ المحرِّكة لتلك الحركات والثورات.

استمع معي إلى هذه الفقرة عن ثورة ٢١ أكتوبر سنة ١٧٩٨م، أي بعد ثلاثة أشهر من الاحتلال الفرنسي: «وشُكِّلَتْ لجنةُ قيادة الثورة، وجَعَلَتْ مقرَّها الأزهر، وانتُخِبَ الشيخ السادات رئيسًا لها، ونَظَّمت كتائبَ المتطوِّعين، وزُوِّدوا بالأسلحة، وانبثَّ العلماء وشيوخُ الأزهر بين الصنَّاع والتجَّار ومختلف الطوائف، يدعونهم إلى الثورة، وتسلَّل الدعاةُ إلى الرِّيف يستنهضون همَمَ الفلَّاحين لمناهضةِ المستعمرين، ومؤازرة المكافحين، فأقبلت أفواجٌ منهم يحملون العِصِيَّ والفؤوسَ والرماح والبنادق، واعتلى المؤذِّنون شواهقَ المآذن، ينادون نداءاتٍ مثيرةً للخواطر.

وعَلَتْ صيحات السَّخط في كلِّ مكان، وتجمَّع المواطنون في الجوامع يستمعون إلى العلماء وهم يخطبون ويُحَمِّسون أفرادَ الشعب على منازلة المحتلِّين وتحرير مصر، إلى أن اندلع لهيبُ الثورة، واشتدَّ أُوَارها.

وانبثَّ الفقهاءُ في الشوارع ينادون: من كان موحِّدًا ـ أي من أهل التوحيد ـ فليأتِ إلى الجامع الأزهر؛ لأنَّ اليومَ يومُ المُغَازاة للكفار، وعلينا أن نُزيل العار بأخذ الثار. وخرج قرابة ثمانية آلاف مجاهدٍ من باب الفتوح، وتدفَّقوا منه إلى المرتفعات للاستيلاء على المواقع الَّتي تصبُّ نِيرَانَها.

QaradawiBooks.com

واستشاط الفرنسيُّون غَضَبًا، فسلَّطوا قذائفَ مدافعِهم على الأزهر موطنِ الثورة، وأخذت القنابلُ تترامى على الجامع وعلى الأحياء المجاورة، حتَّى تصدَّعت الجُدْران، وانهارت المنازل الملاصقة، ودُفِنَ الألوفُ من النساء والأطفال والشيوخ تحت الأنقاض، وجرى الدمُ في الشوارع من الفريقين. ودُوِّن في إحصاءٍ رسمي عن مقرِّ القيادة بأنَّ عدد القتلى بلغ زُهَاءَ أربعةِ آلاف من الأنفس في هذا اليوم. ولم يلبث الفرنسيُّون أن احتلوا الجامع الأزهر بخيولهم! وجاسوا خلال أروقته، وربطوا الخيول عند القِبْلة، وحطَّموا القناديل، ونهبوا المخطوطات والمصاحف!

وعمدوا إلى الانتقام من شعب القاهرة، فقبضوا على زعماء الثورة من علماء الأزهر واعتقلوهم في القلعة، ثمَّ أعدموهم دون محاكمة، وطُرِحَتْ جُثَثُهم في النيل»[1].

وهذا امتداد طبيعي لما قام به سلطان العلماء عزُّ الدين ابن عبد السلام، وشيخ الإسلام ابن تيمية من استنهاض للشعب وإيقاظٍ لوعيه، وإثارةٍ لحميَّته الدينيَّة لمقاتَلَةِ الصليبيِّين والتتار.

الأزهر في مقاومة الاستبداد:

ولم يكن الأزهرُ قائدَ الكفاح القومي ضدَّ الاحتلال الأجنبي فقط، ولكنَّه كان قائد الكفاح الدستوري ضدَّ الاستبداد الداخلي كذلك.

في سنة ١٧٩٥م قبل الحملة الفرنسيَّة، اضطربت الأمور في مصر، وكثُرت شَكَاةُ الناس من طغيان المماليك. وعلى رأسهم مراد وإبراهيم، فنهض وفدٌ من العلماء في مقدِّمتهم السيِّد عمر مكرم للدفاع عن

(١) كفاح الشعب (الوعي القومي) لمحمد أمين حسونة (٣٢/١، ٣٣) بتصرف، ١٩٥٥م.

QaradawiBooks.com

الحُرِّيَّات العامَّة، ومناهضة الاستبداد، وألزموا الطاغيتَيْن بشروطٍ سُجِّلَتْ في وثيقة تعهَّدوا فيها بإقامة العدل، والتوبة عن العدوان، ويَعِدُون بالقيام بالواجبات الَّتي يفرضها عليهم الشرع والعرف، من صرف الأموال على مستحقِّيها، ورفع الضرائب المستحدَثة، ويَتَكَفَّلون بكفِّ أتباعهم عن امتداد أيديهم إلى الأموال، وأن يسيروا في الحكم سيرةً حسنةً.

هذه الوثيقة الَّتي استخلصها العلماء من الحُكَّام تُعَدُّ ـ في نظر بعض الدارسين[1] ـ أقدم وثيقة لإعلان حقوق الإنسان، فقد سبقت في التاريخ إعلان حقوق الإنسان في أعقاب ثورة فرنسا سنة ١٧٩٨م. سجَّل علماء الإسلام هذه الوثيقة في عصرٍ عُرِفَ بالتأخُّر العلمي، والركودِ الأدبي، والانحطاطِ العامِّ في حياة المسلمين.

كان العلماءُ ملاذَ الشعب كلَّما مسَّه أذَى الرؤساء، أو أرهقه ظلمُ الولاة. وكان العلماء ـ عند حسن الظنِّ بهم ـ المُعَبِّرين الحقيقيِّين عن آلام الشعب وآماله، والمطالبين بحقوقه وأهدافه، فإذا لم تُجْدِ المطالبة والإقناع، ولم تُغْنِ المفاوضة والمحادثة السليمة، اتَّجه العلماء إلى الشعب يُوقدون فيه الجذوة، ويُشْعلون الثورة، ويرمون لها بالوقود، من نصوص الدِّين القويم، وتوجيهاته العادلة، الَّتي تأبى الظلم والطغيان، فيندفع الشعب ـ باسم الدِّين ـ ثائرًا غاضبًا، يهدر كالموج، ويزأر كالليث، ويُدَوِّي كالإعصار. ولا عجب أن نرى المواطنين يتجمهرون ويحتشدون ويصيحون: «يا لطيف، يا لطيف، يا ربِّ يا متجلِّي اهلكْ طائفةَ العثمانلي»، على نحو ما كُنَّا نقول ونسمع في صغرنا كلَّما رأينا طائرة: «يا عزيز يا عزيز، (كُبَّة تاخد) الإنجليز».

(١) انظر: كفاح الشعب (الوعي القومي) (١١/١).

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ثار الشـــعب على الوالي العثماني خورشـــيد باشـــا، لكثرة مظالمه، ومظالم جنوده، واجتمع بدار المحكمة الشرعيَّة العلماء والفقهاء ونقباء الصنَّاع، وقاضي القضاة. وقرَّروا خلع خورشيد من الولاية وإسنادها إلى محمَّد علي، الألباني الداهية الَّذي أظهر عطفه على الشعب.

وســـار نواب الشـــعب يتقدَّمهم الســـيِّد عمر مكرم نقيب الأشراف، والشيخ الشرقاوي، شيخ الأزهر، يتبعهم زهاء أربعين ألف مواطن، إلى منزل محمَّد علـــي بالأزبكيَّة، وأبلغوه قـــرارات مؤتمرهم الخاصَّة بمنع فساد الجنود، وعدم فرض ضرائب إلَّا بموافقة العلماء والأعيان.

وقالوا له: شرع الله بيننا وبين هذا الحاكم الظالم، لقد اجتمعنا اليوم لخلعه، فإن أطاع نجا، وإن خالف عاملناه بما كسبت يداه.

فسألهم ومن تريدون بدله؟

فأجابوه: قد اخترناك بدلًا منه، بشـــروط، منها: أن تسير في الحكم بالعدل وَفْق نصوص الشريعة السمحاء، وألَّا تُبْرِم أمرًا إلَّا بمشورتنا، وإذا خالفت هذه الشروط عزلناك من الولاية.

فقبل هذه الشروط، ثمَّ نهض الزعيمان مكرم والشرقاوي، وألبساه خلعة الولاية. أمَّا كيف خُلِع خورشيد؛ فأمرٌ ينبغي أن يُسَجَّل بالإعجاب والإكبار.

في ١٦ مايـــو اجتمع العلمـــاء والمشـــايخ وقاضي القضـــاة في دار المحكمة الشـــرعيَّة، وحرَّروا وثيقة شـــرعيَّة بعزل خورشيد من الولاية، وبعثوا بصورة منها إلى الباب العالي بالآستانة. أمَّا هذه الوثيقة فقد تولَّى الشيخ محمَّد المهدي صياغتها واستهلَّها بقوله: «إنَّ للشعوب ـ طِبْقًا لما جرى به العرف قديمًا، ولِمَا تقضي به أحكام الشريعة الإسلاميَّة ـ الحقَّ

QaradawiBooks.com

في أن يقيموا الولاة، ولهم أن يعزلوهم إذا انحرفوا عن سنن العدل وساروا بالظلم؛ لأنَّ الحُكَّام الظالمين خارجون على الشريعة».

وأرسل خورشيد مندوبًا عنه للاجتماع بزعماء الشعب، وقال المندوب للعلماء: كيف تعزلون من ولَّاه السلطان عليكم، والله تعالى يقول: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ﴾ [النساء: ٥٩].

فردَّ عليه عمر مكرم بقوله: «أولو الأمر هم: العلماء وحملة الشريعة، والسلطان العادل. وصاحبُك رجلٌ ظالم. وقد جرت العادةُ من قديم الزمان أنَّ أهل البلد يعزلون الولاة، حتَّى الخليفة والسلطان إذا سار فيهم بالجَوْر»[(١)].

وبعد حصارٍ وكفاحٍ انتصر الشعب بقيادة العلماء، وعزل خورشيد، ووَلَّى محمَّد علي الداهية الجبَّار.

وحينما انتفضت مصر انتفاضة أخرى بقيادة أحمد عرابي، الزعيم الريفي الَّذي تعلَّم أوَّلَ أمره في الأزهر، وكانت الثورة على «توفيق»، واستصدر الخديوي «فرمانًا» سلطانيًّا بعزل عرابي من منصبه بالجيش، لجأ عرابي إلى العلماء، فأصدروا فتوى جريئة قالوا فيها: «إنَّ الخديوي توفيق خائنٌ لدينِه ووطنه، وقد مَرَقَ من الدِّين كما يَمْرُق السهم من الرَّمِيَّة»[(٢)]!

هذه مواقف جماعيَّة للأزهر وعلمائه، وما أكثر ما نقرأ مواقف فرديَّة خالدة، لبعض علمائه المؤمنين الشجعان: فعندما أراد حسن باشا الجزائرلي المبعوث العثماني بمصر أن يستبيح أموال المماليك، ويقبض

(١) كفاح الشعب (الوعي القومي) (١/٧٠ ـ ٧٢).

(٢) كفاح الشعب (الوعي الثوري) (٢/١٤٣).

QaradawiBooks.com

على نسائهم وأطفالهم، ويطرحهم للبيع في السوق، على زعم أنَّهم أرقَّاء لبيت المال، وقف الشيخ السادات يحتج احتجاجًا صارمًا، ويقول: كيف يباع هؤلاء المماليك وقد وُلِدُوا أحرارًا؟!

فترة الركود والتخلُّف:

هذا هو دور الأزهر التاريخي، وهو دور عميق الأثر، عظيم الخطر، هو دور علمي تربوي ديني وقومي اجتماعي وسياسي.

وهو دور أحسَّ به الشعب ولمسه وعايشه، وسجَّله التاريخ، واعترف به كل من كتب عن كفاح الشعب المصري في تلك الفترة الحرجة من تاريخ مصر والمسلمين.

«كان الأزهر كما كتب مؤرِّخو هذه الفترة موطن النهضة القوميَّة، ومصدر الزعامة الشعبيَّة، وموئل الحياة الدينيَّة، ومنبع الحركة الثقافيَّة في العالم الإسلامي. وقد برزت قوَّته في كلِّ حالة احتكَّت فيها مصر بالأجنبي، وفضلًا عن هذا وذاك فقد غذَّى الأزهر النهضة العلميَّة في بداية نشوئها، وأمدَّ الكنانةَ بطائفة من زعماء الإصلاح، الَّذين شيَّدوا صرح النهضة القوميَّة، وكان طُلَّابه نواةَ مدرسةِ الطبِّ والهندسة والألسن، وكان منهم شباب البعوث العلميَّة، الَّذين قامت على أكتافهم دعامة مصر الحديثة، بل إنَّ الَّذين اضطلعوا بقسطٍ وافرٍ من ترجمة المؤلَّفات الطبِّيَّة والهندسيَّة والفنِّيَّة، والَّذين أسهموا في بعث التراث العربي، وإخراج الموسوعات والكتب والمراجع الَّتي تولَّت مطبعة بولاق نشرها، كانوا من رجال الأزهر»[1].

(١) كفاح الشعب (١٤٣/٢).

QaradawiBooks.com

ولكن لماذا أُقْصِيَ الأزهر بعد ذلك عن نهضة مصر الحديثة، وعليه كان اعتمادها في أوَّل الأمر؟

لقد كان المفروض بعد ذلك أن يقود الأزهر النهضة، ويُوَجِّهها الوجهة الربَّانيَّة، ويصبغها بصبغته العربيَّة الإسلاميَّة، بل كان عليه أن يتطوَّر هو إلى جامعة شاملة تنبثق منها كلُّ الكُلِّيَّات الجامعيَّة النظريَّة والعلميَّة، كما تطوَّرت جامعات أوروبا الدينيَّة إلى جامعات عامَّة مثل أكسفورد وكمبردج والسوربون، وكما فعل «الجزويت» في فرنسا وهم أشدُّ الفرق تعصُّبًا للدِّين، فهم الَّذين غيَّروا نظام التعليم في أوروبا، فارتقى بسعيهم إلى الدرجة الَّتي هو فيها.

كان هذا هو المنتظر والمتوقَّع، ولكنَّه لم يتحقَّق، فقد ركدت ريحُ الأزهر، وضعُفت دولته، وعزل عن منصة القيادة والتوجيه، وأنشئت المدارس والجامعات المدنيَّة الحديثة، وأُعطيت من الإمكانات ما جعلها تأخذ الزمام من الأزهر، فلماذا حدث ذلك؟

ربَّما قيل: كان ذلك لجمود الأزهر على قديمه، وغفلته عن تطوُّر الحياة من حوله.

وربَّما كان ذلك لأنَّ اتِّجاه محمَّد علي كان اتجاهًا مدنيًّا، لا يهتم كثيرًا بالدين، بل هو اتِّجاه عسكريٌّ هدفُه الجيش، وإمداد الجيش وتقوية الجيش، ليكون أداته في إشباع طموحه، وتحقيق أطماعه. ومن جاء بعد محمَّد علي كان منهم من أغلق المدارس والمصانع، ومنهم من أراد أن يجعل مصر قطعةً من أوروبا، ولم يكن وعيُهم بالجذور والهُوِيَّة الحضاريَّة، والسند الرُّوحي للنهضة كافية.

ولمَّا جاء الاحتلال الإنجليزي وجثم على صدر البلاد، كان همُّه أمرين:

QaradawiBooks.com

ـ إضعاف قوَّة مصر العسكريَّة، وذلك بقصِّ أجنحة الجيش حتَّى لا يظهر «عرابي» جديد، وهذه مُهِمَّة البعثة العسكريَّة البريطانيَّة.

ـ وإضعاف القوَّة المعنويَّة، وذلك بخنق صوت الإسلام حتَّى لا يُدَوِّي ويُسْمَع، وحجب شعاعه حتَّى لا يضيء ويَهدي؛ فكان لا بدَّ من «تجميد» الأزهر وإبعاده عن المشاركة والتأثير في النهضة التعليميَّة خاصَّة، وعن النهضة الحضاريَّة عامَّة. وتلك هي مهمَّة السياسة التعليميَّة الَّتي يرسمها القسُّ الإنجليزي «دنلوب» مستشار المعارف المصريَّة حين ذاك. بالإضافة إلى المدارس التبشيريَّة والأجنبيَّة في الداخل، وإيفاد البعثات إلى أوروبا في الخارج.

وقد كان الاستعمار الإنجليزي وأعوانه واعين لما يفعلونه، فقد وجدوا الأزهر «ناشزًا» مستعصيًا على أفكارهم وخططهم، ولم يكن ـ كما أرادوا ـ سَلِسَ القِيَاد، سهل الانقياد، فوجدوا أفضل وسيلة للخلاص منه أن يُترَك وحده بعيدًا عن تيار الحياة المعاصرة، حتَّى ينكمش أو يموت داخل جدرانه. وساعد على ذلك جمود بعض شيوخه الَّذين أغلقوا على أنفسهم وعلى غيرهم باب الاجتهاد، ونادَوْا أن يبقى كلُّ قديمٍ على قِدَمه، ناسين أنَّ الأرض تدور، وأنَّ الفَلَك يتحرَّك، وأنَّ الدنيا تتغيَّر من حولهم، وظلَّ الأزهرُ فترة من الزمن يدور حول نفسه، لا يأتي بجديد، ولا يرقى بقديم، شعاره: ما تَرَكَ الأوَّلُ للآخِرِ شيئًا!

أيًّا ما كان السبب، فقد وقف الأزهر والقافلة تسير، وجمُد والعالم يتحرَّك، ونام ملءَ عَيْنَيْه، والشمسُ تغمر الكونَ بالحرارة والضياء.

وقد كان اعتزال الأزهر أو عزله عن القيادة والتأثير فرصةً للاستعمار الثقافي ليعمل عمله، في الفكر والتشريع والحياة الاجتماعيَّة كلها، وكان

QaradawiBooks.com

من أثر ذلك أن ضعف الوازع الديني في أنفُس كثير من الناس، ولَبِس كثير من المتديِّنين الدِّين كما يلبس الفرو مقلوبًا! وتمكَّن الغزو الفكريُّ والرُّوحي والاجتماعي الَّذي قام به التبشير والاستعمار أن يكسب انتصارات جزئيَّة في ميادينَ شتَّى على حساب الإسلام وعقائده وتقاليده ونظمه وآدابه، لا بالدبَّابة والمدفع، ولا بالطائرة والأسطول، ولكن بما هو أعمق جرحًا، وأبعد غورًا، «بالأستاذ الَّذي يُفسد الفكر، وبالعلم الَّذي يزرع الشكَّ، وبالكتاب الَّذي يُمْرِض اليقين، وبالصحيفة الَّتي تنشر الرذيلة، وبالقلم الَّذي يُزَيِّن الفاحشة، وبالبَغِيِّ الَّتي تَخْرِب البيت، وبالحشيش الَّذي يهدم الصحَّة، وبالممثلة الَّتي تُمَثِّل الفجور، وبالراقصة الَّتي تغري بالتخنُّث، وبالمهازل الَّتي تقتل الجِدَّ والشهامة، وبالخَمْرة الَّتي تذهب بالدِّين والبدن والعقل والمال، وبالشهوات الَّتي تُفْسِد الرجولة، وبالكماليَّات الَّتي تُثْقِلُ الحياة، وبالعادات الَّتي تناقض فطرة الله، وبالمعاني الكافرة الَّتي تطرد المعاني المؤمنة من القلوب»[1]!

أَمَا واللهِ، لقد كانت نكبةً كبرى أن يَرْكُدَ الأزهر ويعتزلَ أو يُعزلَ عن الحياة العامَّة، ويتخلَّف عن قيادة الأُمَّة، فيتولَّى الزمامَ أناسٌ أسماؤهم إسلاميَّة، وعقولهم وقلوبهم أوروبيَّة! جعلوا الكعبة وراءهم، واتَّخذوا الغرب قِبْلَتهم، وتولَّوُا المدنيَّة الأوروبيَّة، وعادَوا الحضارة الإسلاميَّة؛ فكانت النتيجة أن صار الدِّينُ في وادٍ والدولة في واد! ينصُّ الدستور على أنَّ دين الدولة الإسلام، ويقول الواقع المرير: إنَّ جُلَّ مظاهر الحياة بعيدة عن الإسلام، وكلُّ ذلك نشأ من تخلُّف الأزهر عن ركب الحياة.

(١) مقال يا مصر للشيخ محمد البشير الإبراهيمي، مجلة المسلمون، السنة الأولى، وانظر: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي (٤٩٨/٣).

QaradawiBooks.com

غير أنَّ الإنصاف يقتضينا أن نقول: إنَّ الأزهر لم يَعْدِم من شبابه ورجاله الدعاة والمصلحين، وإنَّ الأزهر في الفترة الَّتي غفا فيها وألقى السلاح إن كان قد فَرَّط في الإسلام كدولة فإنَّه لم يفرِّط فيه كدين. فظل الأزهريون يخطبون ويُدَرِّسون، ويُعَلِّمون الشعب في كلِّ قريةٍ ومدينة: أصول العقائد، وأحكام العبادات، وآداب المعاملات، ومكارم الأخلاق.

رسالة الأزهر اليوم:

على أنَّ الأزهر لم يستمرَّ على ركوده ورقوده، فقد رزقه الله برجالٍ مُصْلِحين من داخله، حاولوا أن يوقظوه من غفوته، وأن يفتحوا عينيه على ما حوله، وأن يخرجوه من قيود الماضي إلى باحة الحاضر، وأن يفكُّوا عنه أغلال التقليد الَّتي كبل بها نفسه وقد خلقه الله حرًّا، وضيَّق بها الدين وقد شرعه الله رحبًا.

وقال الأستاذ الإمام محمَّد عبده: يستحيل بقاء الأزهر على حاله، فإمَّا أن يعمر، وإمَّا أن يتمَّ خرابه!

وجاء تلميذه الشيخ المراغي، فبذل جهده خلال توليه لمشيخة الأزهر مرَّتين في إصلاح أوضاع الأزهر وتجديده، حتَّى يؤدِّي رسالته على مستوى الإسلام الَّذي يُمَثِّله، ومستوى العصر الَّذي يعيشه. ولم يكن الطريق أمامه سهلًا، ولكنَّه لم يستسلم ولم يعجز، واستطاع أنْ يُحقِّق الكثير.

وجاء بعده شيوخٌ كبار، لكلٍّ منهم قدره ومنزلته وجهاده في سبيل الإصلاح، من أمثال مصطفى عبد الرازق، ومحمد الخضر حُسَين، وعبد المجيد سليم، ومحمود شلتوت، وعبد الحليم محمود، ممَّن جاهدوا لبعث الأزهر، وإعلاء كلمته؛ لأنَّها كلمة الإسلام.

QaradawiBooks.com

وصحا الأزهر من سكرته، ونهض من عثرته، وأصبح له كلِّيَّات كثيرة، ومعاهد أكثر، واجتهد أن يخوض من جديدٍ معترَكَ الحياة، ويُسهم مع الجامعات والمؤسسات الأخرى في ترشيد النهضة، وقيادة الأُمَّة وتوجيه المسلمين، وهداية غير المسلمين.

وهنا تشير الأصابع إلى الأزهر، ويتَّجه المصريُّون والعرب والمسلمون في كلِّ مكان إليه سائلين سؤالَ الحريصِ عليه، وليس سؤالَ المُحْرِج له، أو المتربِّص به.

والسؤال هو: ماذا عسى أن يكون دور الأزهر اليوم وقد تغيَّرت الأوضاع في المجتمعات العربيَّة والإسلاميَّة؟ فقد أُسْقِطَتْ الخلافة وتمزَّق المسلمون إلى دولٍ بل دويلات، وعُطِّلَت الشريعة في معظم جوانب الحياة، وحلَّت مَحَلَّها القوانين الوضعيَّة، وأُخِّر الفكر الإسلامي، والتربية الإسلاميَّة، والتقاليد الإسلاميَّة، لتفسح المجال للفكر الغربي، والتربية الغربيَّة والتقاليد الغربيَّة.

ما عسى أن يكون دور الأزهر، وقد ظهرت في كل بلاد الإسلام ـ أو في جلها ـ حركات شعبيَّة إسلاميَّة تجديديَّة، تعمل على إعادة الوعي إلى الإنسان المسلم، حتَّى يثق بنفسه، ويعتزَّ بدينه، ويأمل في غده. وكان من أثر هذه الحركات وجهاد رجالها، على مرِّ العقود من السنين: إيجاد رأيٍ عامٍّ يُطالب بالعودة إلى الإسلام مصدرًا للتوجيه والتشريع والتكتل، وتكوين جيلٍ يعتزُّ بالإسلام ويؤمنُ به، ويعملُ على تحكيم شريعته في الأرض، وتمكينه في دنيا النَّاس.

ثمَّ ما عسى أن يكون دَوْره، والقوى المعادية للإسلام صاحية لا تنام، عاملةً لا تكسل، مخطِّطة لا ترتجل، من يهوديَّة توسعيَّة، ومن صليبيَّة

QaradawiBooks.com

استعماريَّة، ومن شيوعيَّة إلحاديَّة، ومن وثنيَّة عدوانيَّة تختلف فيما بينها، وتتَّفق علينا وحدنا. وصدق الله إذ يقول: ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍ ﴾ [الأنفال: ٧٣].

ما عسى أن يكون دور الأزهر اليوم وقد كبر حجمه، واتَّسعت قاعدته؟ وما عسى أن تكون رسالته لمصر وللعرب وللمسلمين وللعالم؟

ماذا عسى أن تكون رسالة الأزهر اليوم ورسالة أبنائه؟ وقد أصبح يخرِّج كل عام آلافًا من الطلاب، وأصبحت جامعته تضم عددًا وفيرًا من الكليات للبنين والبنات، دينيَّة وإنسانيَّة وعلميَّة، وأصبحت معاهده الابتدائية والإعدادية والثانويَّة منتشرة في أنحاء شتَّى من جمهورية مصر العربيَّة؟

الأزهر مصنع للدعاة إلى الله:

إنَّ الَّذي يتبادر إلى الذهن أنَّ الأزهر ليس أكثر من معهد أو جامعة للعلم الديني، مهمَّتها تخريج فئة من المتخصصين في علوم الدين واللغة العربيَّة أو في الدراسات الإنسانيَّة والاجتماعيَّة والمجالات العلميَّة لهم ثقافة دينيَّة.

وهذا صحيح، وهو جزء أساسي من مهمة الأزهر، ولكن هذا جسم المهمة المنوطة بالأزهر وليس روحها، فقد يتخرَّج آلاف الناس من الأزهر، ويحملون شهادة العالميَّة، ولكنَّهم لم يعوا حقيقة رسالته ورسالتهم، ولو وعوها بعقولهم لم تنفعل بها قلوبهم، ولو انفعلت بها قلوبهم لم تتجه إليها إرادتهم؛ لأنَّهم يعيشون ـ أو يتعيَّشون ـ بها ولكنَّهم لا يعيشون فيها، ولا يعيشون لها!

QaradawiBooks.com

حدَّثوا أنَّ شـيخًا من حكماء الشـيوخ المُرَبِّين أراد أن يعرف مدى استعداد تلاميذه، ومقدار فهمهم لرسـالتهم، فاقترح على أربعةٍ منهم أن يملأ كلُّ واحدٍ حجرة الدراسة بما يُمْلِيه عليه تفكيره وشعوره.

فذهـب الأوَّل فوجد في طريقه حطبًـا كثيرًا، فحملـه وجاء به إلى الحجرة وملأها به، فقال له أستاذه: أنت رجلٌ ضعيف الهمَّة، تميل إلى العيش من أقرب طريق.

وذهب الثاني فجاء بمجموعة من الكتب والمجلَّدات، فكدَّسها في الحجرة، فقال له الحكيم: أنت رجلٌ نظريٌّ، تحسـب أنَّ في الكتب كلَّ شيءٍ، وتنسى كتاب الحياة الأكبر.

وذهب الثالث فجاء بباقة من الأزهار والورود، فوضعها في الحجرة، فقال له الأستاذ: أنت رجلٌ طيِّب القلب، تظنُّ الحياة نعيمًا لا بؤس فيه، ولا تذكر أن بجانب الورود أشواكًا مُدْمِيَة.

وذهب الرابع فجاء بشـمعةٍ وأوقدها في وَسَـط الحجرة، فنظر إليه أسـتاذه الحكيم نظرة المعجب، وقال له: لله دَرُّك، أنت الَّذي فهمتَ سرَّ حياتك. إنَّ مهمَّتنا أن نضيء للناس الطريق!

على ضوءِ هذا المثل، ينبغي أن نفهم رسالة الأزهر الأولى، ورسالة أبنائه وعلمائه.

إنَّ مهمَّتنا أن نضيء للنَّاس الطريق. أجل، والله، إنَّ مهمَّتنا أن نذوب في سبيل الإسـلام، ونحترق من أجل رسـالة القرآن، أن نكون شموعًا تضيءُ للنَّاس الطريق إلى الجنَّة، وتهدي الحائرين إلى الله.

QaradawiBooks.com

فما أضلَّ الناسَ الَّذين يفهمون أنَّ الأزهر مجرَّد جامعةٍ لتخريج طائفةٍ من الموظَّفين لتشغلَ طائفةً من الوظائف! وأضلُّ من هؤلاء الأزهري الَّذي يفهم الأزهر ذلك الفهم الشارد، ويظنُّ بنفسه ذلك الظنَّ الأثيم.

إنَّ علماء الأزهر هم ورثةُ النبوَّة، وحملة الرسالة، هم هداة الخلق، ودعاةُ الحقِّ، ورسل الخير، ومفاتيح الهدى، ومصابيح الدُّجَى.

إنَّ وظيفتهم هي أشرف وظيفة في الوجود؛ لأنَّها وظيفة النبيِّين والمرسلين، هي الدعوة إلى الله على بصيرة، وسَوْق الناس إلى جنَّة الخلد، والأخذ بحُجَزِهم أن يتهافتوا في النار، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

إنَّ رسالة الأزهر أن يكون مصنعًا كبيرًا يصوغ الدعاة إلى الله على بصيرة، ويصنع للإسلام رجالًا يفقهون كتابه، وسُنَّة رسوله، وسيرة رجاله، وتاريخ أُمَّته، ويتفاعلون مع الحياة الَّتي يعيشون فيها، وينطلقون برسالة الإسلام مُبَشِّرين ومنذرين، موجِّهين ومُعَلِّمين، للعامَّة والخاصَّة، في القرى والمدن، في المدرسة والمسجد، في الداخل والخارج، بالقلم واللسان.

قد يدرسون اللغة العربيَّة ليفهموا بها مصادر الإسلام، وقد يدرسون العلوم الحديثة لينتفعوا بها في خدمة الإسلام، وقد يكونون مدرِّسين وقضاة، وإداريِّين وعسكريِّين وأطبَّاء ومهندسين، وزراعيِّين وتجاريِّين، ولكنَّهم لا ينسون مهمَّتهم الأصليَّة: أنَّهم حَمَلة رسالة الإسلام ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٣٩]، ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الأزهر حامل رسالة الإصلاح والتوجيه للمجتمع:

بَيْدَ أنَّ الأزهـــر ليس معهدًا علميًّا يُخَرِّج علماء ودعاةً للإســـلام، ثمَّ ينتهي دوره بعد هـــذا. كلَّا، إنَّ الأزهر جامعة وجامـــع وجمعيَّة: جامعة للعلم والتثقيف، وجامع للعبادة والتربيـــة، وجمعيَّة للدعوة والإصلاح، فلا ينبغي أن تفقد «الجامعـــة الأزهريَّة» رُوح «الجامع الأزهر» ولا طبيعة «الجمعيَّة الشعبيَّة».

أجل، على الأزهر ـ بحكم مســـؤوليَّته الدينيَّة والتاريخيَّة والشـــعبيَّة والرســـميَّة ـ أن يؤدِّي حقَّ الله بتبليغ دعوته، وإقامة حُجَّته، ونشـــر دِينِه، وتعليم أحكامه، وأن يقـــف دَيْدَبانًا يَقِظًا، يحـــرس الإيمان في القلوب، والعبادات في المســـاجد، والتقاليد الصالحة في المجتمع، والتشريعات العادلة فـــي الحكم، ناصحًـــا لله ولرســـوله ولكتابه ولأئمَّة المســـلمين وعامَّتهم؛ فإذا رأى معروفًا ضُيِّع أو كاد، أمر به وعمل على إقامته، وإذا رأى منكرًا فشـــا، أو فاحشة شـــاعت، أو ظلمًا ســـاد، عمل على تغييره بنصيحة السلطان، وقوَّة الشعب وتأثير الإيمان.

وليس هذا من الأزهر خروجًا على اختصاصه، وتدخلًا في شـــؤون دنيويَّة سياسيَّة ليست في حدود عمله، كما يحسب الجاهلون بالإسلام، ونظامه وتاريخه؛ فالإسلام غير المسيحيَّة، والقرآن غير الإنجيل، والأزهر غير الكنيسة، وعلماء الإسلام غير رجال الكهنوت.

فليس في نصوص الإسلام من كتاب أو سُنَّة نصٌّ يقول: دعْ ما لقيصرَ لقيصر، وما لله لله. ولكن الإسلام ينادي أنَّ قيصر وما لقيصر وأتباع قيصر لله الَّذي له ما في الســـماوات وما في الأرض، ومن في السماوات ومن في الأرض.

QaradawiBooks.com

وفي آيات الكتاب: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

وفي أحاديث الرسول ﷺ: «**إنَّ الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه، أوشك أن يَعُمَّهم اللهُ بعقابٍ من عنده**»(١).

ولم يكن الأزهر في تاريخه الطويل المجيد ديرًا لرهبان، ولم يكن علماؤه ولا علماء الإسلام في أيِّ بلدٍ رجال كهنوت أو عُبَّادًا في صوامع، بل كانوا يعيشون في معمعة الحياة، في اللهب وفي الصقيع، مع الشعب، وبين ظهرانَيْه، يُوَجِّهون المواطنين وينصحون الحُكَّام، بل يحملون السلاح ويخوضون المعارك ضد الغزو أو الطغيان في بعض الأحيان، ونحن نقرأ ثورة العلماء المسلَّحة على الحَجَّاج بقيادة عبد الرحمٰن بن الأشعث في شرق الدول الإسلاميَّة، وثورة أخرى بقيادة القاضي يحيى بن يحيى في غربها بالأندلس.

واجب الدعوة والتوجيه:

على أنَّ الواجب الأساسي للأزهر نحو المجتمع هو واجب الدعوة والتوجيه والهداية الَّتي هي رسالة الأنبياء والرسل عليهم السلام، وهذا واجب الأزهر بصفته هيئة عامَّة، وواجب علمائه بصفتهم الفرديَّة.

إنَّ علم الدِّين لا يُتَعَلَّم ليُدفَن في الصدور، أو ليَتَلَذَّذ به العقل، أو تُنال به الشهادة، أو تكتسب به الوظيفة، ولكنَّه يتعلَّم ليكون نبراسًا يهتدي به صاحبه ثمَّ يهدي به غيره، يعمل به ثمَّ يُعَلِّمه للنَّاس، فمن علِم

(١) رواه أحمد (١)، وقال مخرِّجوه: إسناده صحيح على شرط الشيخين. وأبو داود في الملاحم (٤٣٣٨)، والترمذي (٣٠٥٧)، وقال: حسن صحيح. وابن ماجه (٤٠٠٥)، كلاهما في الفتن، وصحَّحه الألباني في الصحيحة (١٥٦٤)، عن أبي بكر الصديق.

QaradawiBooks.com

وعَمِل وعلَّم؛ فذلك يُدْعى عظيمًا في ملكوت السماء، وقد أجمع السلف على أنَّ الرجل لا يكون ربَّانيًّا حتَّى يعلم ويعمل ويُعَلِّم، وصدق الله: ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩].

كتب سلمان الفارسي إلى أبي الدرداء رضي الله عنهما: «أنَّ العلم كالينابيع، يَغْشَاهُنَّ الناس، فيَخْتَلِجُه هذا وهذا، فينفع الله به غيرَ واحد. وإنَّ حكمة لا يُتَكَلَّم بها، كجسدٍ لا روحَ فيه. وإنَّ علمًا لا يُخْرَج، ككنزٍ لا يُنْفَق منه. وإنَّما مَثَلُ العالِم، كمَثَلِ رجلٍ حَمَلَ سراجًا في طريقٍ مُظْلِمٍ يستضيءُ به مَنْ مَرَّ به، وكُلٌّ يدعو له بالخير»[1].

فليُهَيِّئ الأزهر نفسه، لتعليم الأُمَّة، وتوجيه الشعب، وليخاطب كلَّ قومٍ على قدر عقولهم، وليقدِّم لكلِّ طائفةٍ ما يصلح لها من دواء، وما يناسبها من غذاء، فعليه واجب نحو العامَّة، وواجب نحو الخاصَّة، وواجب نحو جيل الصحوة.

واجب تنوير العامَّة:

إنَّ على الأزهر واجبًا نحو عامَّة الناس، الَّذين يُكَوِّنون جمهور الأُمَّة، واجبه أنْ يُعلِّمهم الإسلام النقيَّ المُصفَّى، خاليًا من الأجسام الغريبة الَّتي لصقت به وليست منه، فكدَّرت صفاءه، وشَوَّهَت جماله؛ وأنْ يشن حملةَ تطهير على الخرافات والمعتقدات الشركيَّة الباطلة، الَّتي أفسدت عليهم عقيدتهم، والبدع الضالة الَّتي أفسدت عليهم عبادتهم، وأخلاق الضعف والسلبية الَّتي أفسدت عليهم إرادتهم، والعادات الضارة الَّتي أفسدت

(١) رواه ابن أبي شيبة في الزهد (٣٥٨١١)، والدارمي في المقدمة (٥٧٦).

QaradawiBooks.com

عليهم حياتهم، وعليه أن ينتفع بما في فطرهم من سلامة، وما في قلوبهم من أصالة التديُّن، فيثير فيهم الغَيْرة على الحقِّ، والتحمُّس للدين، والتنافس على الخير، ويعمل على أنْ يبُثَّ في عقولهم الأفكار السليمة، ويثبت في قلوبهم العقائد الصحيحة، ويُربِّي في أنفسهم الأخلاق القويَّة، وينشر فيما بينهم التقاليد الصالحة، مستخدمًا في ذلك الحكمة والموعظة الحسنة، والدعوة بالَّتي هي أحسن، كما أمر الله تعالى، وأن ينأى بهم عن متاهات الخلافات، وغرائب المقولات، وغوامض الآراء والاجتهادات، الَّتي احتار فيها الخواصُّ، فكيف بالعوامِّ؟ وقد قال ابن مسعود: «ما أنت بمُحَدِّثٍ قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلَّا كان لبعضهم فتنة»[(١)].

كما يجب على الدعاة الوعاة أن «يُبَسِّطوا» لهؤلاء دينهم غاية «التبسيط» اقتداءً بالنبي الكريم في تعليمه، ولا يكثروا عليهم تعاليم الإسلام بكثرة التفريعات والتفصيلات، وإضافة التشديدات والتعقيدات، الَّتي تجعل الدين السهل غاية في الصعوبة، وتجعل استيعابه نهاية في العسر، على غير ما شرع الله، وما أوصى رسولُه ﷺ، فالله تعالى يقول في كتابه: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البقرة: ١٨٥]، ورسوله ﷺ يقول لأبي موسى ومعاذ حين بعثهما إلى اليمن: «**يَسِّرا ولا تُعسِّرا، وبَشِّرا ولا تُنفِّرا**»[(٢)].

واجب توجيه الخاصَّة:

وعلى الأزهر وعلمائه واجب آخر، نحو خواصِّ الأُمَّة من المثقفين والمتنوِّرين، وذلك بأن يحميهم من موجة الجمود والتحلُّل والاستهتار

(١) رواه مسلم في المقدمة (١١/١).

(٢) متَّفق عليه: رواه البخاري (٣٠٣٨)، ومسلم (١٧٣٣)، كلاهما في الجهاد والسير، عن أبي موسى.

QaradawiBooks.com

والتقليد الأعمى للغـرب، تلك الموجة العاتية الَّتـي يدفعها إلينا التيار الغربي بشقَّيْه: الشيوعي، والرأسمالي، الَّذي طغى على النفوس والأفكار والأوضاع.. وأن يُقَدِّم إليهم الإسـلام الَّذي يخاطب عقولهم المُتفتِّحَة، ويلائم رُوحَهم المتوثِّبة، ويناسـب معارفهم المتطوِّرة، ويُفجِّر طاقاتهم المتجدِّدة. ولست أعني أنْ يخترع الأزهر لهم إسـلامًا من عنده، يلائم عقليَّتهم! فالإسلام نفسه يملك من السعة والمرونة ما يُقَدِّم به كلَّ مرتبةٍ من الناس ما يناسـب درجتها. فليس العوامُّ كالخواصِّ، وليس الخواصُّ كخواصِّ الخواصِّ. وليس من الحكمة أنْ يُخَاطَبَ الحضريُّ بما يخاطب به البدوي، ولا أن يُدْعَى المثقف بأسلوب الأُمِّي.

وقد قال النبيُّ ﷺ لمعاذٍ لمَّا بعثه إلى اليمـن: «**إنَّك تأتي قومًا أهل كتاب، فادعُهم إلـى أنْ يشـهدوا أن لا إله إلَّا الله، وأنَّ محمدًا رسـول الله...**»[1]. فدلَّنا على أنَّ دعوة أهل الكتاب ليسـت كدعـوة الأمِّيِّين من المشـركين. وقال علـيٌّ رضي الله عنه: «حَدِّثـوا النـاس بما يعرفـون، ودعوا ما ينكرون، أتريدون أن يُكذَّب الله ورسوله؟»[2].

واجبنا مـع الخاصَّـة أنْ نطـارد الأفهـام الخاطئة في رؤوسـهم، والتصورات السـقيمة للإسـلام في أذهانهم، حتَّى يعلموا أنَّه ليس دِينَ دروشةٍ وانقطاعٍ عن الحياة، ولكنَّه دينُ عملٍ وإنتاج، وليس دينَ تخلُّفٍ وجمود، بل دين تقدُّم وتطوُّر، وليس دينَ عنفٍ وتعسيرٍ، بل دين سماحة وتيسير، وليس عبادة وروحانيَّة فحسْب، ولكنَّه نظامٌ كامل يوجِّه طاقات الفرد وحيـاة الأسـرة وطبقات الأُمَّـة وشـؤون الدولة في سياسـتها

(١) متَّفق عليه: رواه البخاري في الزكاة (١٤٩٦)، ومسلم في الإيمان (١٩)، عن ابن عباس.
(٢) رواه البخاري في العلم (١٢٧).

QaradawiBooks.com

واجتماعها، وإدارتها واقتصادها، وسلمها وحربها.. بل يسعى إلى ربط العالم كلِّه برباط الإنسانيَّة والإخاء، ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. وحتَّى يعلموا أنَّ محمَّدًا ﷺ لم يُبعث ليُحْرِجَهم في دين، أو يُضَيِّق عليهم في دنيا، وإنَّما جاء ﴿يَأۡمُرُهُم بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَىٰهُمۡ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنۡهُمۡ إِصۡرَهُمۡ وَٱلۡأَغۡلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتۡ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

إذا أفهمْنا الشعبَ دِينَه على هذا النحو فقد استحقَقْنا أن نكون من مُعَلِّمي الخير الَّذين عظَّم شأنَهم رسولُ الله ﷺ فقال: «**إنَّ الله وملائكته وأهل السماوات والأرَضِين حتَّى النملة في جُحْرها وحتَّى الحوت، ليُصلُّون على مُعلِّم الناسِ الخيرَ**»[1].

واجب ترشيد الصحوة:

وواجبٌ آخر نحو المدِّ الإسلامي المتصاعد أو ما اصطُلِحَ على تسميته أخيرًا بـ «الصحوة الإسلاميَّة» الَّتي تتمثَّل أبرز ما تتمثَّل في الجيل الجديد من شباب الجامعات والمعاهد، الَّذي ظهر في عدد من البلدان والأقطار الإسلاميَّة، يقيم الشعائر، ويُحْيي من السنن ما مات، ويُقاوم من البدع ما انتشر، ويتمسَّك بالآداب الإسلاميَّة، ويُعيد للنَّاس الثقة بقدرة الإسلام على العطاء والتأثير.

ولا ينبغي للأزهر أنْ يقف من هذه الصحوة موقف العزلة عنها، أو الاستعلاء عليها، أو المخاصمة لها، وإن كان عليها بعض المآخذ في الفكر أو السلوك. ولا يجوز له أن يقف منها موقف العداء، ويضع نفسه موضعَ

(١) رواه الترمذي في العلم (٢٦٨٥)، وقال: حسن صحيح غريب. وصحَّحه الألباني في صحيح الجامع (٤٢١٣). عن أبي أمامة.

QaradawiBooks.com

مُمَثِّل الاتِّهام، بل ينبغي أن تشعر هذه الأجيال المسلمة بأبوَّتِه لها، وحرصه عليها، وفرحه بها، ينبغي أن تشعر بأنَّه معها لا عليها؛ فهو يأخذ بأيديها، ويُسدِّد خطواتها، ويُقِيل عثراتها، ويساند تطلُّعاتها، ويُخَفِّف من غلوائها، وينوه بإيجابيَّاتها، ويُحَذِّر من سلبيَّاتها، بعلمٍ وحكمة، ورفقٍ ورحمة.

ومن أبلغ ما جاء عن سلف الأُمَّة هذه الكلمات الحكيمة، يقال: ما أحسنَ الإسلام يُزَيِّنه الإيمان! وما أحسنَ الإيمان تُزَيِّنه التقوى! وما أحسنَ التقوى يُزَيِّنها العلم! وما أحسنَ العلمَ يُزَيِّنه الحلم! وما أحسن الحلمَ يُزَيِّنه الرفق!

وحسبنا قول الله تعالى لرسوله الكريم: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

الأزهر والعالم الإسلامي:

وليست مهمة الأزهر محدودة بحدود مصر وحدها، ولكنَّ الأزهر للعالم الإسلامي الواسع، الممتد من المحيط الهادي إلى المحيط الأطلسي. هذا العالم الفسيح الَّذي يضمُّ نحو ألف مليون مسلم[1] في أخصب بلاد الله أرضًا، وأهمها موقعًا، وأغناها بالمعادن المذخورة، والثروات المنشورة.

ومن حسن حظ الأزهر أنَّه يملك من القدرات والعوامل الَّتي تساعده على أداء مهمته في العالم الإسلامي ما لا يملكه أحد.

من هذه العوامل: تاريخه الحافل بالجهاد والعطاء في شتَّى الميادين، وقد تحدَّثنا عنه من قبل.

(١) وذلك وقت كتابة هذه الرسالة سنة ١٩٨٣م.

QaradawiBooks.com

ومنها: ما له من نفوذ عميق، وهيمنة روحية بعيدة المدى.

فإنَّ شعوبنا ما زالت ـ رغم السموم الَّتي روَّجها دعاة الإلحاد والإباحيَّة ـ شعوبًا مؤمنة متديِّنة، ولا زال لعلماء الدِّين عندها مكانٌ أي مكان، ما داموا أكْفَاء في عملهم، أمناء على دينهم.

ولقد رأيت بعينَيْ رأسي ـ في ريف مصر ومدنها ـ بعض العلماء والدعاة الموفَّقين، والشعب يكاد يُقَدِّس الواحد منهم تقديسًا: يعتقدون أنَّ إشارته حُكْم، وطاعته غُنْم، وحبَّه عبادة، وخدمته قُرْبة، ورضاه من رضا الله، إذ هو وارث رسول الله ﷺ، وحارس هدى الله، ومرجع الكافَّة لمعرفة حكم الله. ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

وإذا كان الشعب في بعض الأزمنة قد أشاح بوجهه، ونأى بجانبه، عن بعض كبار الشيوخ أو صغارهم، فلأنَّهم ولَّوْا وجوههم لغير الله، فولَّى الشعب وجهه لغيرهم! ولأنَّهم فقدوا احترامهم لأنفسهم ففقدوا احترام الناس لهم، ورحم الله القاضي الجرجاني حين قال:

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْعِلْمِ صَانُوهُ صَانَهُمْ وَلَوْ عَظَّمُوهُ فِي النُّفُوسِ لَعُظِّمَا!
وَلَكِنْ أَذَلُّوهُ فَهَانَ وَدَنَّسُوا مُحَيَّاهُ بِالْأَطْمَاعِ حَتَّى تَجَهَّمَا[1]!

صحيح أنَّ هناك فئةً قليلةً تكره الأزهر، وتكره علماء الدين عامَّة؛ لأنَّها تكره الإسلام نفسه، وتكره العربيَّة، والأزهر معهد الإسلام، وموئل العربيَّة.

(١) محاضرات الأدباء للراغب الأصفهاني (٥٢/١)، نشر شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ.

QaradawiBooks.com

وهناك من يضيقون بالأزهر؛ لأنَّه شيءٌ قديم، وهم أدعياء التجديد، وعُبَّاد كلِّ جديد. أولئك الَّذين قال عنهم الرافعي ساخرًا: إنَّهم يريدون أن يُجَدِّدوا الدِّينَ واللغةَ والشمسَ والقمر[1]!

وقال عنهم شوقي:

لَا تَحْـذُ حَـذْوَ عِصَابَـةٍ مَفْتُونَةٍ يَجِـدُونَ كُلَّ قَدِيـمِ أَمْـرٍ مُنْكَرًا
وَلَوِ اسْتَطَاعُوا فِي الْمَجَامِعِ أَنْكَرُوا مَنْ مَـاتَ مِـنْ آبَائِهِـمْ أَوْ عُمِّرَا
مِنْ كُلِّ سَـاعٍ فِي الْقَدِيمِ، وهَدْمِهِ وَإِذَا تَقَـدَّمَ لِلْبِنَايَـةِ قَصَّـرَا[2]

ولكنَّ هذه الفئة وتلك ليسـت شيئًا مذكورًا بجوار عشرات الملايين الَّتي تحبُّ الأزهرَ وتُقَدِّر الأزهر.

ومنها: أنَّ الأزهر خاصَّة له من خِرِّيجيه وأبنائه جنودٌ منتشرون في كلِّ أرجاء مصر، وسائر أقطار الإسلام، بل سائر أقطار العالم.

وهل هناك جمعيَّة لها أعضاء عاملون ومشـتركون فـي كلِّ مدينة وقرية وعزبة كمـا للأزهر الَّذي ينتشـر أبناؤه في كلِّ مكان، انتشـارَ الأوردة والشـرايين في الجسد؟ وهل يخلو مسـجد في قرية من إمامٍ وخطيبٍ من الأزهر؟

وهل تخلو قرية من مأذونٍ شرعيٍّ من الأزهر؟ وهل تخلو مدرسة من مُدَرِّس للغة العربيَّة والدِّين من أبناء الأزهر؟ وهل تخلو منطقة من واعظٍ أو مفتٍ أو قاضٍ من الأزهر؟

---

(١) على غلاف كتابه: تحت راية القرآن.

(٢) في قصيدته الأزهر، انظر: أحمد شـوقي الأعمال الشعرية الكاملة (١٥١/١)، نشر دار العودة، بيروت، ١٩٨٨م.

QaradawiBooks.com

ورحم اللهُ شـــوقي حين عرف هذه الحقيقة، فخاطب بها أبناءَ الأزهر في قصيدته الرائيَّة المشهورة:

هُزُّوا الْقُرَى مِنْ كَهْفِهَا ورَقِيمِها ... أنتم لَعَمْرُ اللهِ أعصابُ القُرَى
الغَافِلُ الأُمِّيُّ يَنْطِـقُ عَنْكُمُو ... كَالبَبَّغَـاءِ مُـرَدِّدًا ومُكَـرِّرًا
يُمْسِي ويُصْبِحُ في أَوَامِرِ دِينِه ... وأُمُورُ دُنْيَاهُ بِكُمْ مُسْـتَبْصِرًا
لَوْ قُلْتُـمُ: اخْتَرْ لِلنِّيَابَةِ جَاهلًا ... أَوْ لِلْخَطَابَةِ بَاقِـلًا، لتَخَيَّرَا[1]

وهل هناك وكالة أنباء لها مندوبون ومراسلون في جميع أقطار الشرق كما للأزهر؟

ولقد سافرت إلى الشرق الأقصى، فوجدت الأزهريِّين في كلِّ مكان: في ماليزيا، وفي إندونيسيا، وفي تايلاند، وفي الفلبِّين. بل وجدتُ أبناء الأزهر كان لهم القِدْح المُعَلَّى في تفجير الثورة الإسلاميَّة وقيادة الجهاد الإسلامي في جنوب الفلبِّين.

وســافرت إلى الغرب في أوروبا وأمريكا، فوجدت ســفراء الأزهر هناك، ما بين مواطنٍ ومستوطنٍ ومبعوث.

وفي أمريكا اللاتينيَّة وفي أستراليا وإفريقيا، لا يغيب الأزهر، فحيث يوجد الإســلام يبعد ألَّا يوجد الأزهر، وفي رحــاب الأزهر اليوم آلاف مؤلَّفة من طــلاب البعوث الإســلاميَّة، من مختلف بلاد الإســلام في المشــرق والمغرب، من الفِلِبِّين إلى المغرب، ومــن تركيا إلى جنوب إفريقيا، بعثت أقطارهم ـ وهم ثمرات أفئدتها وحَبَّات قلوبها ـ ليَعُبُّوا من مَعِين الدِّيــن في الأزهر، ثــمَّ يعودوا إلــى قومهم منذريــن، ومُعَلِّمين

(١) قصيدة الأزهر، انظر: أحمد شوقي الأعمال الشعرية الكاملة (١٥٣/١).

QaradawiBooks.com

ومُوَجِّهين. وتستقبلهم أوطانهم استقبال السقيم للعافية؛ لأنَّهم عادوا من قلب العروبة والإسلام، من مصر، من الأزهر، واستجابوا لقول الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُوا۟ قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١٢٢].

من هنا كان على الأزهر أن يُقَدِّر مُهِمَّتَه الضخمة على مستوى الأُمَّة الإسلاميَّة، ومستوى العالم الإسلامي الكبير.

هذا العالم ذو التاريخ الحافل بالروائع والبطولات، والحاضر العامر بالآمال والطموحات، في حاجة إلى من يجلو الصدأ عن جوهره، ويزيح الران عن قلبه، ويُعرِّفه بموطن القوَّة فيه، بعقيدته وتاريخه، ويجمعه على كلمةٍ سواء: كلمة التوحيد.

ومَن أولى مِن الأزهر بهذه المهمَّة الجليلة، وبخاصَّة أنَّ مكانته في أُمَّة الإسلام في موضع السواد من العين، والسُّوَيْداء من القلب؟!

وممَّا يؤخذ على الأزهر أنَّه لم يُعْطِ هذا «الجيش الاحتياطي» من أبنائه المنتشرين في الأرض، حقَّه من الاهتمام والرعاية.

ولم يضع أي تنظيم، ولم يتَّخذ أيَّة خطوة عمليَّة للتعرُّف على خِرِّيجيه، والاتِّصال بهم، عن طريق المكاتبة والمراسلة، أو الزيارة لهم في بلدانهم ومواقعهم في بعض الأحيان، أو دعوة من تساعده الظروف منهم إلى الأزهر في بعض المناسبات. ومن الواجب أن يبادر الأزهر، فينشئ «مكتبًا للخِرِّيجين» ـ وبخاصَّة من كانوا خارج مصر ـ يعمل على تكوين سِجِلٍّ، أو «أرشيف» لهم، يعرف منه: أين يعمل خِرِّيجُ الأزهر، وما عمله وما عنوانه؟ وما يُمْكِنُ أن يؤدِّيه من خدمةٍ للإسلام وأهله،

QaradawiBooks.com

داخل بلده أو خارجه، وما يمكن أن يبعث به من تقارير عن أوضاع المسلمين حيث يُقيم، وخصوصًا من هيَّأ الله له أن يقف على ثُغرة هامَّة أو يوضع في موقع مؤثِّر في مجتمعه.

فقد أصبح من هؤلاء الوزير والسفير، والعميد والمدير، والتاجر الكبير، ومنهم القاضي والمفتي، والداعية والمُعَلِّم.

وعلى المكتب أنْ يعمل على دوام الاتِّصال بهم، والاستفادة منهم في أمر الدعوة إلى الإسلام، ومقاومة الهجمات التنصيريَّة والشيوعيَّة وغيرها على أبنائه، والمساهمة في حمل هموم المسلمين ـ ولا سيَّما الأقلِّيات والجاليات ـ وحلِّ مشكلاتهم الثقافيَّة والاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والسياسيَّة.

ويمكن أن يتكوَّن من هؤلاء الخِرِّيجين وأمثالهم من أهل العلم ـ إذا حسن الاتصال بهم وانتظم ـ رابطة أو «اتِّحاد لعلماء الإسلام» في العالم.

الأزهر وهداية العالم:

ليست مهمَّة الأزهر موقوفة على العالَم الإسلامي فحسْب، فإنَّ الأزهر حامل رسالة الإسلام، وهي رسالة إنسانيَّة عالميَّة شاملة، ليست رسالة إقليمٍ مُعَيَّن، ولا جنس خاصٍّ، أوَّل سورة في كتابها تبدأ بحمد الله ربِّ العالَمين، وآخر سورة فيه تبدأ بالاستعاذة بربِّ الناس، ملِكِ النَّاسِ، إلٰهِ النَّاسِ، فإلٰه الإسلام إلٰه العرب والعجم والجنِّ والإنس والمَلَاك والجماد، «رب العالمين». وكتاب الإسلام عالمي الاتِّجاه: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

ورسول الإسلام ليس مبعوثًا إلى العرب خاصَّة، ولكنَّه رسول الله إلى النَّاس كافَّة: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨]،

QaradawiBooks.com

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. والمسلمون أُمَّة من طبيعتها أنْ تمتدَّ بدينها امتداد الضوء، وتعلن حقَّها وعدلها على النَّاس، كما أعلنه من قبل مندوب المسلمين أمام رستم: «نحن قومٌ قد ابتعثنا اللهُ لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده، ومن ضيق الدنيا إلى سَعَتِها، ومن جَوْرِ الأديان إلى عدل الإسلام»[(١)].

فهل يقبل من الأزهر أن يحبس نفسه في قفص، ويترهَّب في صومعة، تاركًا آفاق العالم الرَّحْبة للمذاهب الهدَّامة، والمبادئ الفتَّاكة، الدعوات المدمِّرة تصول فيه صيال الأفاعي السامَّة، تنفثُ السمَّ والموت والخراب؟!

إنَّ على الأزهر أنْ يتقدَّم إلى العالم المعذَّب بقارورة الدواء، وإلى الدنيا الَّتي أحرقها لهب المطامع المادِّيَّة بمِضَخَّة الإطفاء، وإلى الإنسانيَّة المضطربة برسالة محمَّد ﷺ، رسالةِ الإيمان والإخاء والعدل والحرية والسلام: ﴿قُلۡ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

* * *

(١) القائل هو ربعي بن عامر. رواه الطبري في تاريخه (٥٢٠/٣)، نشر دار التراث، بيروت، ط٢، ١٣٨٧هـ.

QaradawiBooks.com

عوامل النجاح ومقوِّماته في رسالة الأزهر

هناك عوامل ثلاثة لها أعمق الأثر في نجاح الأزهر في رسالته:

أوَّلها: استعداد شعوبنا للتديُّن، وتقبلها لفكرة الإسلام:

فإذا أخذنا الشعب المصري مثلًا، وجدناه شعبًا مؤمنًا متدينًا بفطرته وتاريخه، ولا ينقصه إلَّا من يوقظ فيه الروح، ويشعل الجذوة، ويقوده بالفكرة الواضحة إلى الطريق السليم.

ومصر إنَّما بنت الأهرام في عهد الفراعنة باسم الدِّين، وابتكرت عمليَّة التحنيط العجيبة بدافع من الدِّين، ولم تحرز نصرًا في التاريخ الوسيط أو الحديث إلَّا بقوَّة الدِّين.

انتصرت على أوروبا الصليبيَّة يوم قادها صلاح الدين باسم الله تحت لواء الإسلام.

وانتصرت على الزحف التتري الوحشي يوم صرخ المظفَّر قطز في جنوده: «وا إسلاماه»!

وقاومت الجيوش الفرنسيَّة الزاحفة بتوجيه علماء الدين، وانطلقت موجات ثورتها سنة ١٩١٩م من الجامع الأزهر تحمل رُوح الدِّين.

ولم يثبت في ميادين فلسطين ويُبْدِ روائع البطولة إلَّا أهل الدين.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

ولم يُرعب الإنجليز في القنال إلَّا شباب صنعتهم المحاريب، رهبانًا بالليل، فرسانًا بالنهار!

ولم يتحقَّق النصر في العاشر من رمضان على القوَّة الَّتي زعموا أنَّها لا تُقْهر، ولم تُعْبَـر القناة، ويُقْتَحم خطُّ «بارليـف» إلَّا بجهاد الصائمين القائمين، وإيحاء «الله أكبر»!

وقد كانت هذه المعركـة فرصة تجلَّت فيها مصـر الحقيقيَّة، وذاب الطلاء الأجنبي الزائف الَّذي أراد بعض الرقعاء من عبَّاد الغرب أن يغطوا به معدنها الأصيل، وشاء الله أن يحبط سعيهم، ويظهر مصر كالعهد بها: مصر المؤمنة الإلٰهيَّة، الَّتي اعتنقت المسيحيَّة فضحَّت في سبيلها بالآلاف وعشرات الآلاف من الشـهداء، واحتضنت الإسـلام دينًا ودولة، ولغة وحضارة، فكانت ولا تزال كعبته الثقافيَّة الَّتي يتَّجه إليها المسـلمون في شرق الأرض وغربها، وخاضت المعارك في سبيل الذَّوْدِ عن حماه.

وقديمًا قال المؤرخ اليوناني «هيرودوت»: «المصريُّون قوم دينيُّون».

وحديثًا قال عنهم مثل ذلك «ستانلي لن بول» حينما عاش بينهم في أوائل القرن التاسع عشـر: «وإذا تحدَّثتُ عن قوَّة إيمان الشعب المصري وسلامة فطرته، فلأنَّه الشَّعب الَّذي فيه الأزهر».

وقد لمستُ بالرحلة والمخالطة: أنَّ الشعوب العربيَّة والإسلاميَّة كلَّها لا تختلف كثيرًا عن مصر، إيمانًـا بدينها، وغَيْرةً على إسـلامها، حتَّى الشعوب الَّتي أعلن حُكَّامها نبذ الدِّين مثل تركيا، الَّتي أعلنها «أتاتورك» دولة لا دينيَّة، لا زال شـعبها ـ وخاصَّـة في الأناضـول ـ مؤمنًا بربه، متمسِّكًا بدِينِه، لا يهزُّه شيء كما تهزُّه كلمة الإسلام، كما تدلُّ على ذلك

QaradawiBooks.com

آلاف المدارس القرآنيَّة، وعشرات المعاهد الدينيَّة، الَّتي أنشأها الشعب بالجهود الذاتيَّة.

ممَّا اضطرَّ الحكومات أن تعدل موقفها بعض الشيء من الدِّين، وأن تتملَّق الرأي العامَّ المسلم في الانتخابات، وقد تجلَّى هذا التيار الشعبي القويُّ في مساندة حزب «العدالة» من قبل، وفي قيام حزب السلامة من بعد، وهو الحزب الإسلامي الَّذي يرجى له أن يكون حزب المستقبل بإذن الله[1].

وهل هناك دليل أنصع وأوضح من الجزائر الَّتي احتلَّها الاستعمار الفرنسي، قرنًا وربعًا، وبقي ـ مع هذا ـ شعب الجزائر عربيًّا صريح العربيَّة، مسلمًا عميق الإسلام.

وقد شهد بهذه الحقيقة ـ قوَّة الدين لدى شعوبنا ـ من خالط العرب والمسلمين من الأجانب والمستشرقين، وكتب عنهم.

يقول المؤرِّخ الفيلسوف الاجتماعي الفرنسي المعروف «جوستاف لوبون» في كتابه «حضارة العرب»: «تأثير دين محمَّد في النفوس أعظم من تأثير أيِّ دينٍ آخر، ولا تزال العروق المختلفة الَّتي اتَّخذت القرآن مرشدًا لها تعمل بأحكامه كما كانت تفعل منذ ثلاثة عشر قرنًا. أجل قد تجد بين المسلمين عددًا قليلًا من الزنادقة والأخلياء، ولكنَّك لن ترى من يجرؤ منهم على انتهاك حرمة الإسلام في عدم الامتثال بتعاليمه الأساسيَّة؛ فالصلاة في المساجد، وصوم رمضان الَّذي يراعي جميعُ المسلمين أحكامَه بدقَّة، مع ما في هذه الأحكام من صرامةٍ لا نجد مثلَها

(١) والآن يحكم تركيا حزب العدالة والتنمية بقيادة زعيمه الطيب أردوغان، وهو حزب ذو توجُّه إسلامي، وجذور إسلامية، وقد نجح نجاحًا باهرًا في النهوض بتركيا، وحلَّ كثيرًا من مشاكلها، برغم الدستور العلماني.

QaradawiBooks.com

في صوم الأربعين الَّذين يقوم به النصارى، كما شاهدتُ ذلك في جميع الأقطار الإسلاميَّة الَّتي زُرْتها في آسيا وإفريقيا. ومن ذلك: أتيح لي أن أركب سفينة نيليَّة كان فيها أفراد عصابة عربيَّة مقرَّنين في الأصفاد، ومتَّهمين بأنواع الجرائم. فقضيتُ العجبَ حين رأيتُهم ـ وهم الَّذين خرقوا حرمةَ جميعِ القوانين الاجتماعيَّة مُسْتَخِفِّين بأقصى العقوبات ـ لم يجرؤوا على انتهاك تعاليم النبيِّ، حين شاهدتهم يرفعون تلك الأصفاد عنهم وقتَ الصلاة ليسجدوا لله القهَّار ويعبدوه.

وعلى من يرغب في فهم حقيقة أممِ الشَّرق ـ الَّتي لم يدرك الأوروبيون أمرها إلَّا قليلًا ـ أن يتمثَّل سلطان الدِّين الكبير على نفوس أبنائها. وللدِّين ـ ذي التأثير الضئيل فينا ـ نفوذٌ عظيم فيهم، وبالدِّين يُؤَثَّر في نفوسهم، ولولا الدِّين ما حُرِّكَ ساكنُ المصريِّين منذ الثورة الَّتي ضرجت مصر بالدماء (يعني ثورة ١٩١٩م)».

إلى أن يقول: «إنَّ الرجل الَّذي يخاطب العرب باسم الله يُطاعُ لا محالة، ما علموا أنَّه يتكلَّم باسم الله حقًّا.

فعلى الراصد المؤمن أو الملحد أن يحترم هذا الإيمان العميق، الَّذي استطاع العرب أن يفتحوا العالَم به فيما مضى، وهم اليوم يصبرون به على قسوة المصير»[1].

تلك هي طبيعة هذه الأُمَّة، وذلك هو تأثير الإسلام في أبنائها: العرب وغيرهم من «العروق المختلفة الَّتي اتَّخذت القرآن مرشدًا لها» كما يقول لوبون.

(١) حضارة العرب لجوستاف لوبون صـ ٤١٧، ترجمة عادل زعيتر، نشر دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، ط ٣، ١٩٥٦م.

QaradawiBooks.com

ويقول الأستاذ «كليرنج» في كتابه عن «الشرق الأدنى مجتمعه وثقافته»: «إنَّ الدِّين مرآةٌ تنطبع عليها القِيَم الروحيَّة والثقافيَّة للشعوب بأجلى صورها، وهو للجماعة كالحَدَقَة من العين، ترتسم عليها صُوَرُ الحقائق الَّتي تُولِيها الاهتمام».

أمَّا الأستاذ «أليسون» فيؤكِّد استنادًا إلى وقائع التاريخ ذاته بأنَّ الاستقرار لدى الآسيويِّين ـ على الأخصِّ ـ في حاجة دائمًا إلى الاستناد إلى الدين.

وهذا موافق لما ذهب إليه «ابن خلدون» في شأن العرب والتُّرْك وغيرهم من شعوب الشرق، من حيث قوَّة تأثير الدين فيهم، حيث يصبح الوازع لهم من أنفسهم، وذلك بما يشملهم من الدِّين المُذْهِب للغلظة والأنفة، الوازع عن التحاسد والتنافس[1].

فمَن أراد أن يصنع بهذه الأُمَّة العجائب، ويقتحم بها المخاطر، ويخوض بها لُجَجَ المعارك، ويُعِيدُ بها أيَّام خالد وصلاح الدِّين، فليُخَاطِبْها باسم الله، ولْيَقُدها بزمام الإيمان، ولْيَجْمعْها تحتَ راية القرآن وكلمة التوحيد، وقيادة مُعَلِّمها الأوَّل محمَّد ﷺ. وليربطها بأيَّام الإسلام، وتراث الإسلام، وأبطال الإسلام[2].

ثانيها: عظمة الرسالة الَّتي يدعو الأزهر إليها: رسالة الإسلام:

فليس فيها ما ينافي العقل، أو يُعادي التقدُّم، أو يعرقل سير الحضارة. وإنَّما هي رسالةٌ جاءت تحارب الوثنيَّة بالتوحيد، والإباحيَّة بالفضيلة،

(١) تاريخ ابن خلدون (١٨٩/١)، تحقيق خليل شحادة، نشر دار الفكر، بيروت، ط٢، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م.

(٢) انظر كتابنا: الحل الإسلامي فريضة وضرورة صـ ١٤٠ ـ ١٤٥، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط٦، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠١م.

QaradawiBooks.com

والجهل بالعلم، والجمود بالتحـرُّر، والتخلُّف بالتقدُّم، والظلم بالعدل، والفوضى بالنظام، والتعصُّب بالتسـامح، والاستبداد بالشورى، وصراع الطبقات بالإخـاء والمسـاواة، والنزعـات القوميَّة بالدعـوة العالميَّة، والتكالب على المادَّة بإثارة أشواق الرُّوح.

واسـتعانت على تحقيق أهدافها بالفطرة الإنسـانيَّة نفسها؛ فهي لم تجئ لمحاربتهـا وتغييرها، وإنَّما جاءت لتهذيبها والسُّـمُوِّ بها: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ﴾ [الروم: ٣٠].

ولم يسـمح الإسـلام أبدًا بما ينافي الفطرة، فحارب بكل قوَّة نظام الرهبنة؛ لأنَّ فيه تعطيلًا للغريزة الجنسـيَّة والغريزة الاجتماعيَّة، وسـدَّ الطريق على دعاة التقشُّف والحرمان، فأعلن القرآن الكريم: ﴿ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ﴾ [الأعراف: ٣٢].

وهذا ما شـهد به المُنْصِفُون ممَّن درسـوا الإسـلام من مصادره الحقَّة، ولم تمنعهم العصبيَّة العمياء ولا الخوف من الشـهادة بالحقِّ، وإعلانها على الملأ دون تـردُّد، ومن هؤلاء من أعلن إسـلامه مثل ليوبولد فايس (محمد أسـد)، ورينيـه جينـو (عبد الواحد يحيى)، واللورد «هدلي»، وأخيرًا المفكر الفرنسـي اليسـاري الشهير «روجيه جارودي» الَّذي أعلن إسلامه وسمَّى نفسه «رجاء جارودي»، وأصدر كتابه المُسمَّى «بشائر الإسلام».

ومن هؤلاء المُنْصِفِين من لم ينتهِ إلى الدخول في الإسلام، ولكنَّه أعطاه حقَّـه، وقدَّره قـدْره، مثل «تومـاس كارلايل»، و«تولسـتوي» و«برنارد شو»، و«ديفا جليري»، و«نظمي لوقا». وغيرهم ممَّن اعترفوا

QaradawiBooks.com

بما تميَّز به الإسلام من التكامل والتوازن والشـمولية والواقعيَّة الَّتي تتجلَّى في كلِّ تعاليمه.

يقول الأستاذ «ويلز» مؤلِّف كتاب «موجز تاريخ العالم» من كلامٍ طويلٍ له عن القرآن والإسلام ختمه بقوله: «إذا طلب مِنِّي القارئُ أنْ أحدِّد له الإسلام، فإنِّي أقول له: الإسلام هو المدنيَّة، وإذا أراد أن يعرف ذلك فلْيَقْرَأْ القرآنَ».

وفي سنة ١٩٦٢م استقدمت الحكومة المصريَّة خبيرين أجنبيَّيْن من أوروبا للاستعانة بآرائهما في إصلاح أجهزة الحكم، وتنظيم الإدارة الحكوميَّة، والخبيران هما: مستر «لوتر جيوليك»، و«جيمس هـ. بولوك»، فمكثا مدَّة يبحثان ويرجعان إلى الخبراء المصريِّين ويستمعان إليهم، ثمَّ قدَّما تقريرًا إلى الحكومة ذكرا فيه ما وصلا إليه من قواعد إصلاحيَّة في الحكم.

ثم قالا في نهاية التقرير: «ويتجلَّى من هذه النقاط أنَّ الثقافة الإسلاميَّة من أصلح الأسس للحكم الناجح في العصر الحديث.

وليس هذا فحسْب، بل إنَّها تقدِّم للشعب المصريِّ المسلمِ المبادئ الَّتي يُمْكِنُ أنْ يُقيم عليها ديمقراطيَّته».

«وإذا صحَّ ما ذهبنا إليه في تلك العجالة القصيرة ـ وهو صحيح ـ فإنَّ الثقافة الإسلاميَّة تكون أبعد الأشياء من إعاقة سير التقدُّم والتطوُّر في النظم الحكوميَّة، كما تكون أبعد الأشياء عن الدعوة العمياء، أو التشبُّث بالتقاليد العتيقة البالية.

ذلك لأنَّ الثقافة الإسلاميَّة تُشَجِّع الإنسان على استخدام عقله في تقدير مقتضيات العالم الحديث مع الاطمئنان إلى القيادة المسؤولة،

QaradawiBooks.com

وتبادل الرأي والمشورة، وهذا على وجه التحديد هو المنهج الَّذي صارت الحاجة ماسَّة إليه»[١].

ثالثها: حاجة العصر الَّذي نحن فيه:

نقل المرحوم فريد وجدي عن الأستاذ «هنري بيرانجيه» في المجلد الرابع والعشرين من مجلَّة المجلَّات الفرنسيَّة قال: «إنَّ المسألة الدينيَّة أهمُّ ما يشغل العالم المتديِّن اليوم؛ لأن مستقبل الأمم المتحضِّرة يتوقَّف على حَلِّها».

فقد كان القرن الماضي (التاسع عشر) عصر الغرور العلمي، بهرت المادَّة أبصار الباحثين، فتنكَّروا للدين، وأنكروا ما وراء الطبيعة! فلمَّا استقرَّ العلم، وغاصوا في بحاره تبيَّن لهم أنَّ وراء المادَّة روحًا، ووراء الكون مُكَوِّنًا أعلى، وأنَّ مع الدنيا دينًا لا تستقيم أمورها بغيره. حتَّى قال باحث غربي معبرًا عن حاجة الناس إلى الإيمان بالله: «لو لم يكن الله موجودًا لوجب علينا أن نخلقه»! وقال آخر: «يجب أن يُزَجَّ في السجن كلُّ صاحبِ مدرسةٍ يكون شعارها: لا يُعَلَّمُ الدِّين هاهنا».

إنَّ الرُّقِيَّ العلمي الهائل، والتقدُّم الصناعي الجبَّار، قد جعل الإنسان يتغلَّب على المسافات، ويختصر الزمن، ويغزو الفضاء، ويعيش في رفاهية، ربَّما لم يعرفها الملوك من قبل، ولكنَّه لم يحقق له السعادة الَّتي تنبع من استقرار النفس وطمأنينة القلب، وذلك لا يتمُّ إلَّا بالإيمان: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]. ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

(١) إسلام لا شيوعية للدكتور عبد المنعم النمر صـ ١٦٧، ١٦٨، نشر دار غريب للطباعة، القاهرة، ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م.

QaradawiBooks.com

فلا غرو إذا شكا إنسانُ العصر من سُــعار المادَّة وأحسَّ بظمأٍ شديدٍ إلى رحيق الرُّوح، وسئم من النزعات القوميَّة الحادَّة الَّتي حوَّلت العالم إلى غابة كبيرة من ســباع البشــر، وبات يَئِنُّ من نيــران الحروب الَّتي التهمت أخضرَه ويابسَــه، وصار يتلهَّف على دعوة ربَّانيَّة إنسانيَّة عالميَّة تمزج بين الرُّوح والمادَّة، وتجمع بين الدُّنْيا والدِّين، وتؤلِّف بين القلب والعقل، وتوفِّق بين حقوق الفــرد ومصلحة المجموع، وتنقل النَّاس من ســجن الوطنيَّة والقوميَّة الضيِّقة إلى باحة العالميَّة الفســيحة، ولن يجد ذلك إلَّا في الإسلام الَّذي يحمله الأزهر.

هذا إلى أنَّ الإسلام الآن في يقظة، والمسلمين في نهضة، والشبابَ المســلمَ في صحوة، تمتدُّ من المحيط إلى المحيط، وهم ونحن يملؤنا الأمل بل يغمرنا اليقين: أنَّ الإسلام لا بدَّ أن يسود، وأنَّ الدولة الإسلاميَّة لا بدَّ أن تعود.

وعند ذاك ســتحتاج إلى الدعاة والمُوَجِّهين، والفقهاء والمُشَرِّعين، فمن ذا يمدُّها إلَّا الأزهر؟

* * *

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

مُقوِّمات النجاح

هذه هي عوامل النجاح، وبواعث الرجاء، ودواعي الأمل، أمام علماء الأزهر، وهي عوامل جديرة أن تَفتح لهم الأبواب، وتهيِّئ لهم الأسباب، ولكن هذه العوامل لا تؤتي أُكُلها، إلَّا إذا اكتملت لدى علماء الأزهر مُقَوِّماتٍ لا بدَّ منها للنجاح في رسالتهم، والقيام بها على الوجه المنشود.

وأهمُّ هذه المُقوِّمات ما يلي:

١ ـ الدراسة الواعية للإسلام وللعصر:

المُقَوِّم الأوَّل: الدراسة الواعية المُتَعَمِّقة للإسلام، بوصفه عقيدةً وشريعةً ونظامَ حياة أنزله الله؛ ليُزَكِّي به الأفراد، ويُسْعِدَ الأسر، ويُصْلِحَ المجتمعات، ويُوَجِّه الحكومات، ويَهْدِي العالمين إلى الَّتي هي أقوم.

ولدى الأزهر الينبوع الصافي الَّذي يستمدُّ منه المعرفة الصحيحة للإسلام، وهو الكتاب الكريم، والسُّنَّة المطهرة، وهذه الكنوز الضخمة من التراث الإسلامي في كلِّ مجال، وهذا التاريخ الحافل بالأمجاد والبطولات، المشرق بالآيات البيِّنات؛ فلْيَنْفُض الأزهرُ الغُبَارَ عن هذا التراث العلمي المجيد الَّذي خلَّفه السابقون، ولينتفع بما كتبه ثقات المعاصرين في الحقل الإسلامي الجديد في شريعة الإسلام وعقيدته ونظامه، وما ظهر من دراسات حول القرآن والسُّنَّة والسيرة والتاريخ،

QaradawiBooks.com

وحول العقيدة والشـريعة والاقتصاد ونظم الحياة، ومَنْ أولى من الأزهر بدراسة الإسلام دراسـة جيِّدة فاحصة؟ وعنده وسـائلها، ولديه أسبابها ومُقَدِّماتها؛ فقد توسَّع في دراسـة العربيَّة: لغتها وأدبها ونحوها وصرفها ومعانيها وبيانها، وعاش في كتب التفسير والحديث، والفقه والتشريع، وأخذ بطرف من الفلسـفة والمنطق، وضمَّ إلى ذلك دراسة العلوم الَّتي يُسَمُّونها في الأزهر «العلوم الحديثة»، وهي في الواقع علومٌ قديمة عرفها المسـلمون أيَّام حضارتهـم الزاهرة، وكانـت لهم فيها قدم راسـخة، وإبداعات رائعة، وعنهم أخذها الغرب، ومنهـم اقتبس الحقائق العلميَّة والمنهجَ التجريبي.

ولا بدَّ مع ذلك أنْ يدرس الأزهر واقعَ العَصْر الَّذي يعيش فيه:

١ ـ واقع الأُمَّة الإسـلاميَّة الممتدَّة، وما تملك من طاقات، وما تمور به أرضُها من تيـارات، وما تتعرَّض له مـن مشـكلات، وما يُقَدِّمُ لها الإسلام من حلول.

٢ ـ واقـع القـوى المعادية للإسـلام، المتربِّصة بأهله، مـن يهوديَّة وصليبيَّة وشـيوعيَّة، وما تُدبِّره مـن مكايد، وما تُخطِّط لـه من أهداف، وما تصطنعه من وسائل، وما يساعدها من عوامل وعملاء من داخل الأُمَّة.

٣ ـ واقع الأديـان والمذاهب المعاصـرة والفِرَق المنشـقَّة عن أُمَّة الإسـلام، وما تتَّخذه من غاياتٍ وأسـاليبَ في تضليـلِ الأُمَّة، وتبديد قدراتها، وتعويق مسيرتها، وتفريق شمْلِها.

وبهذا يجمع الأزهر بين الأصالة والمعاصرة، فيحافظ على الماضي، ولا ينعزل عن الحاضر.

QaradawiBooks.com

وهذه الدراسة المتكاملة الَّتي تجمع بين القديم والجديد، وبين المعقول والمنقول، تحتاج إلى مواصلة السهر والعناء: سهر الليل وعناء النهار.

وقد كان من علمـــاء أُمَّتِنا وحكمائها من يـــدرس كلَّ النهار وبعض الليل، فإذا أوى إلى الفراش نام مشغول الفكر والقلب ببعض المشكلات العلميَّة؛ فيهتـــدي إلى حلِّها فـــي نومه، وكان فيهم مـــن يجوب القفار، ويركب البحار، في سبيل حديثٍ يســـمعه، أو حكمةٍ يَنْشُدها، وقد رحل أبو أيُّوب الأنصاري من الحجاز إلى مصر ليســـمع مـــن عُقْبة بن عامر حديثًا واحدًا عن رســـولِ الله ﷺ في ستر المســـلم على المسلم، فسمعه وركب راحلته وانصرف إلى المدينة وما حلَّ رَحْلَه[١].

وقال الشَّـــعْبِيُّ: لو أنَّ رجلًا سافر من أقصى الشام إلى أقصى اليمن، ليسمع كلمةَ حكمة، ما رأيتُ أنَّ سفره ضاع[٢]. وقد حدَّث رجلًا بحديث ثمَّ قال له: أعطيتُكه بغير شـــيء، وإن كان الراكبُ ليركبُ فيما دونه إلى المدينة (وكان الشعبيُّ بالكوفة بالعراق)[٣].

وقال سعيد بن المُسَـــيَّب: إن كنتُ لأســـير الليالِيَ والأيامَ في طلب الحديث الواحد[٤].

وقد رأينا البخاريَّ يحفظ كتبَ المُحَدِّثين كابن المبارك ووَكِيعٍ وهو ابن ستَّ عَشْرَةَ سنة، ثمَّ يرحل في طلب العلم إلى جميع الأمصار: إلى

(١) رواه أحمد (١٧٤٥٤) وقال مُخرِّجوه: المرفوع منه صحيح لغيره، وهذا إسناد ضعيف لانقطاعه. وابن عبد البر في جامع بيان العلم (٥٦٧).

(٢) رواه أبو نعيم في حلية الأولياء (٣١٣/٤).

(٣) متَّفق عليه: رواه البخاري في النكاح (٥٠٨٣)، ومسلم في الإيمان (١٥٤).

(٤) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (٥٦٩)، تحقيق أبي الأشـــبال الزهيري، نشر دار ابن الجوزي، السعودية، ط١، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

مَرْوَ، ونَيْسَابُور، والرَّيَّ، وبغدادَ، والبصرة، والكوفة، ومكَّة، والمدينة، ومصر، ودمشق، وقَيْسَارِيَّة، وحِمْص، وعَسْقَلان. وذلك لنعلم مدى الجهد الكبير الَّذي بذله أسلافنا في خدمة العلم ورعاية الدِّين، وها نحن اليومَ قد يسَّر الله لنا أسباب العلم، ومهَّد لنا سبله، فأصبح منَّا داني القطوف، قريب المنال، لا يحتاج منَّا إلَّا إلى الرغبة الصادقة، والإرادة المُصَمِّمة، والأمل الطموح، وإلى تنظيم الوقت، وإعمال الفِكْر واطِّراح العبث، والبعد عن سفاسف الأمور، ولهو الحديث.

٢ ـ القدوة الحسنة:

والمُقَوِّم الثاني للنجاح: هو القدوة الحسنة، تُقَدَّم للنَّاس عن طريق الالتزام بالإسلام والعمل به؛ فالعلم الَّذي يسكن الرأس ولا ينفذ شُعَاعُه إلى القلب نظرياتٌ ضائعة، ربَّما كانت وبالًا على صاحبها.

وقد اشتدَّ غضب الله على من يأمرون ولا يأتمرون، ويعلمون ولا يعملون: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٤٤]. وكان رسولُ الله ﷺ يقول: «**اللهمَّ إنِّي أعوذُ بك من علمٍ لا ينفع، وقلبٍ لا يخشع**»[(١)].

وقد عاب شاعر الإسلام الدكتور محمد إقبال على المدرسة الحديثة ونظام التعليم الَّذي استورده المسلمون من أوروبا، أنَّ المدرسة الحديثة قد تُعلِّم الشباب التأنُّق في الزي، والتشدُّق في الحديث، ولكنَّها لا تُعَلِّم عَيْنه الدموع، ولا قلبَه الخشوع[(٢)]!

(١) رواه مسلم في الذكر والدعاء (٢٧٢٢)، وأحمد (١٩٣٠٨)، عن زيد بن أرقم.

(٢) روائع إقبال للشيخ أبي الحسن الندوي صـ ٥٦، نشر دار الفتح، بيروت، ط ٢، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.

QaradawiBooks.com

فإذا كان الأزهري كغيره لا يمتاز بطَرْفٍ دامع، ولا بقلبٍ خاشع، ولا بعملٍ صالح، فماذا بقي له من أزهريَّتِه غير العمامة و«الكاكولة» إن بَقِيَتا؟

إنَّه لا يُغْني عن المرء أن يحشو رأسه ببعض المعلومات، ويُطْلق لسانَه ببعض العبارات والمصطلحات، ففي الأثر: «**العلم عِلْمان: علمٌ على اللسان، فذلك حُجَّة الله تعالى على خلقه، وعلمٌ في القلب، فذلك العلم النافع**»(١).

وكان عمر يستعيذ بالله من المنافق العليم، فقيل له: كيف يكون منافقًا وعليمًا؟ فقال: عالمُ اللسانِ جاهلُ القلب(٢).

إنَّ الله ضرب أسوأ مَثَلَيْن لمن عَلِم ولم يعمل: مثَّله حينًا بالكلب، وحينًا بالحمار(٣).

وكان عليٌّ رضي الله عنه يقول: قصم ظهري رجلان: عالمٌ مُتهتِّك، وجاهلٌ متنسِّك، هذا يَغُرُّ الناسَ بتنسُّكه، وذاك يُضِلُّهم بتهتُّكه(٤)!

---

(١) رواه الخطيب في تاريخ بغداد (٥٦٨/٥)، نشر دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م. وحسَّن إسناده المنذري في الترغيب والترهيب (١٣٩)، عن جابر.

(٢) رواه المروزي في تعظيم قدر الصلاة (٦٨٣)، تحقيق د. عبد الرحمٰن عبد الجبار الفريوائي، نشر مكتبة الدار، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٦هـ.

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ ۞ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ ۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۚ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الأعراف: ١٧٥، ١٧٦]، وقوله تعالى: ﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ [الجمعة: ٥].

(٤) الذريعة إلى مكارم الشريعة للراغب الأصبهاني صـ ١٨٤، تحقيق د. أبو اليزيد أبو زيد العجمي، نشر دار السلام، القاهرة، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧م.

QaradawiBooks.com

إنَّ العمل بمقتضى العلم من الضرورات الأولى لمن يحمل رسالة هداية إلى النَّاس؛ فالنَّاس لا يُؤَثِّر فيهم مُجَرَّد العلم، ومحض القول، وإنَّما تُؤَثِّر فيهم القدوة الحسنة والأعمال الطيِّبة، والانفعالات الصادقة، وقد قالوا: «حالُ رجلٍ في ألف رجل أبلغ وعظًا من مقال ألف رجلٍ في رجل»!

ومن حرم العمل بمبادئه الَّتي يدعو إليها، فهو في الحقيقة إنَّما ينفِّر الناس منه، ويدعوهم إلى البعد عنه، وسيقول له الناس: يا طبيبُ طِبَّ نَفْسَك! ويردِّدون قول المسيح لعلماء السوء: «إلى متى تصفون الطريق للمُدْلِجين وأنتم مقيمون مع المتحيِّرين؟ إلى متى ترون القَذَا في أعينِ الناس ولا تبصرون الخَشَبة في أعينكم؟!»[1].

إنَّ الهفوة الَّتي تصدر عن صاحب دعوةٍ ينظر الناس إليها بالمِجْهَر (الميكروسكوب)، وزلَّة العالِم يُضرب بها الطبل، وزلَّة الجاهل يُخْفيها الجهل، والعظيم إذا صدرت منه صغيرة كَبُرت، والحقير إذا سقط في كبيرةٍ صَغُرت، ونقطة المِدَاد في الرقعة البيضاء غيرُها في الرُّقْعة السوداء، هي في الأولى أظهر ما تكون، وفي الثانية أخفى ما تكون.

٣ ـ أخلاق العلماء:

والمُقَوِّم الثالث: يتمثَّل في مكارم الأخلاق: أخلاق العلماء، الَّتي ألَّف فيها السلف، واتَّضحت معالُمها أمامهم؛ فبالخُلُق يُؤَثِّر الرجل في بيئته، ويصمد أمام العواصف، ولا ينقطع في وَسَط الطريق.

وأهمُّ ركائز الأخلاق الَّتي نريدها مجسَّدةً في كلِّ عالم أزهري، وبالتالي في كلِّ عالم مسلمٍ هي:

(١) عيون الأخبار (١٤٣/٢).

QaradawiBooks.com

أ ـ الشجاعة:

ونعني بالشجاعة من أخلاق العلماء: شجاعة العالِم في قول الحقِّ والثبات عليه، والصبر على ما يُصِيبُ المرء في سبيله؛ فذلك لن ينقص من عُمُره، ولن يحرمه رزقًا هو له. ورحم الله أحمد شوقي حين قال:

قِفْ دُونَ رَأْيِكَ فِي الْحَيَاةِ مُجَاهِدًا إنَّ الْحَيَاةَ عَقِيدَةٌ وجِهَادُ[1]!

وقد ضرب علماء السلف في ذلك أروع الأمثال، ومنهم الأئمَّة الكبار الَّذين تعرَّضوا من ولاة غاشمين، للضرب والأذى، من أجل أقوال لهم أو مواقف أصرُّوا عليها، ولم يتنازلوا عنها، حتَّى إنَّ الإمام أبا حنيفة مات في السجن، حين طَلَبَتْه الدولة للقضاء فرفض.

وأمَّا ما أصاب الإمام أحمد بن حنبل في فتنة «خلق القرآن» من المحنة والأذى والسجن والضرب، لشجاعته وثباته على موقفه في مواجهة الموقف الَّذي تتبنَّاه الدولة ورجالها، وعلى رأسهم الخليفة، فهو معروفٌ مشهور.

ووقف عزُّ الدين بن عبد السلام سلطان العلماء في زمنه مواقف مشهورة من أمراء المماليك، حتَّى إنَّه عرضهم للبيع باعتبارهم مِلْك بيت مال المسلمين، حتَّى قيل عنه: بائع الملوك[2]!

---

(١) قاله يوم وفاته للأستاذ محمد توفيق دياب صاحب جريدة الجهاد، وقد جعلها بعدُ شعارًا لجريدته. انظر: أبي شوقي لحسين أحمد شوقي صـ ١٦٥، نشر مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٤٧م.

(٢) انظر: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة للسيوطي (١٦٢/٢، ١٦٣)، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه، مصر، ط١، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٦٧م.

QaradawiBooks.com

وامتُحن ابن تيمية أكثر من مرَّة، وكاد له خصومُه حتَّى أُدخل السجن، وقُدِّر له أن يموت فيه، ولكنَّه ظلَّ على رأيه، مستمسكًا بالحقِّ الَّذي يؤمن به، غير مبالٍ بما أصابه في سبيل الله، قائلًا كلمته الشهيرة: ماذا يصنع أعدائي بي؟! أنا جنَّتي وبستاني في صدري، أين رُحْتُ فهي معي لا تفارقني، إنَّ حبسي خَلْوة، وقَتْلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة.

ولما أدخلوه سجن القلعة في دمشق، ورأى سورها، تلا: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحديد: ١٣][1].

ب ـ الزهد:

ومن أخلاق العلماء: الزهد في الدنيا، والزهد لا يعني الفقر من المال، أو تحريم زينة الله الَّتي أخرج لعباده والطيبات من الرزق، فنِعْمَ المالُ الصالحُ للمرء الصالح. وقد كان من الصحابة ـ بل من الأنبياء ـ رجالٌ أغنياءُ لم تُلهِهم أموالهم وثرواتهم عن ذكر الله، وعن الدعوة إلى الله.

إنَّما الزهد المراد: زهد القلب، أنْ يملك الدنيا ولا تملكه، ويستخدمها ولا تستخدمه، ويجعلها في يده لا في قلبه، ألَّا يتَّخذها ربًّا، فتتَّخذه عبدًا لها.

الزهد ألَّا يجعل الدنيا أكبر همِّه، ولا مبلغ علمه، ولا محور تفكيره، وأن يركلها بقدمه إذا تعارضت مع عقيدته، أو دعوته، وإذا عرض له أمران أحدهما للآخرة والآخر للدنيا، آثر الآخرة على الدنيا، ترجيحًا لما يبقى على ما يفنى.

(١) نقل ذلك عنه تلميذه ابن القيم في الوابل الصيب من الكلم الطيب صـ ٤٨، تحقيق سيد إبراهيم، نشر دار الحديث، القاهرة، ط ٣، ١٩٩٩م.

QaradawiBooks.com

الزهد أن يكون المرء بما في يد الله أوثق منه بما في يده.

هذا الزهد هو الَّذي يُصغِّر المال والجاه والمنصب والشهرة في عين صاحبه، فلا يرى الدنيا كلَّهـا إلَّا جَناح بعوضة، فماذا عسـى أن يكون نصيبُه منها؟!

هذا الزهد هو الَّذي جعل بعض علماء السـلف يقول للخليفة، وقد قال له: ارفعْ إلينا حاجتك. قال: أنْ تدخلني الجنَّة، وتزحزحني عن النَّار!

قال: ذاك ليس إليَّ.

قال: ما لي حاجة غيرها.

قال: اسألْ حاجتَك من الدنيا.

قال: إنِّي لم أسألْها من ربِّي، فكيف أسألُك إيَّاها[1]؟!

وهو الَّـذي جعل بعض علمـاء الخلف يمدُّ رجليه في درسـه أمام الباشـا، على عادته مع تلاميذه، غير خائف ولا متهيِّب، فلمَّا بعث إليه الباشـا بعد انصرافه بصرة من الدنانير، ردَّها إليه قائـلًا: قل للأمير: إنَّ الَّذي يمدُّ رجليه لا يمدُّ يديه[2].

جـ ـ الإخلاص:

فلا ينبغي أن يطلب الأزهري العلم لدنيا يصيبهـا، أو يعلِّمه للناس لجاه يدركه، ولا ينبغي أن يكون كل همِّه أن يُقْبِل عليه الناس، وأن يلتفُّوا حوله، وتنطق ألسـنتهم بإطرائه. فإنَّ هذه النية تفسد عليه أمره، وتحوِّله

(١) القصة دارت بين سليمان بن عبد الملك وأبو حازم. رواها الدارمي في المقدمة (٦٧٣).

(٢) هو الشيخ سعيد الحلبي، عالم الشام في مصر. وكان الباشا هو: إبراهيم محمد علي باشا.

QaradawiBooks.com

عن ابتغاء وجه الله إلى ابتغاء وجوه الناس، فإنَّ الأعمال والعبادات أشباح وصور، وروحها وجود سرِّ الإخلاص فيها، والدنيا كلُّها ظلام إلَّا موضع العلم، والعلم كليه ضياع إلَّا موضع العمل، والعمل كله هباء إلَّا موضع الإخلاص؛ ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥].

وفي الحديث: «**من تعلَّم علمًا ممَّا يُبْتَغَى به وجهُ الله تعالى ليصيب عَرَضًا من الدنيا، لم يجد عَرْفَ الجنَّة يوم القيامة**»[(١)]. يعني ريحها. ويقول الحديث الآخر: «**لا تَعَلَّموا العلمَ لتباهُوا به العلماء، ولا لتُمارُوا به السفهاء، ولا تَخيَّروا به المجالسَ، فمن فعل ذلك فالنارُ النارُ**»[(٢)].

د ـ العزَّة:

ومن أخلاق العلماء: العزَّة الَّتي هي من أخصِّ فضائل المؤمنين، ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]، والعلماء هم صفوة المؤمنين.

والعزَّة شيء غير الغرور أو العُجْب أو الكبر، وهي لهذا لا تنافي فضيلة التواضع الَّتي تحدَّثنا عنها.

هي عزَّةٌ في مواجهة المستكبرين بالسلطان، أو المتعالين بالثروة، أو المُبَاهين بالقوَّة، أو المفاخرين بالنسب، أو المكاثرين بالعدد، أو غير ذلك من أعراض الدنيا.

---

(١) رواه أحمد (٨٤٥٧)، وقال مخرِّجوه: إسناده حسن. وأبو داود في العلم (٣٦٦٤)، وابن ماجه في المقدمة (٢٥٢)، وابن حبان في العلم (٧٨)، وصحَّح النووي إسناد أبي داود في رياض الصالحين (١٣٩١)، عن أبي هريرة.

(٢) رواه ابن ماجه في المقدمة (٢٥٤)، وابن حبان في العلم (٧٧)، والبيهقي في المدخل إلى السنن الكبرى (٤٧٩)، وصحَّحه الألباني في صحيح ابن ماجه (٢٠٦)، عن جابر.

QaradawiBooks.com

فهي عزَّة بالعلم والإيمان، وليست عزَّة بالإثم والعدوان، عزَّة تُلتَمس من الله ولا تُطلَب من الناس، ولا عند أبواب السلاطين؛ ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾ [فاطر: ١٠].

سأل الحجَّاج خالدَ بن صفوان: من سيِّد أهل البصرة؟ فقال له: الحسن (البصري)، فقال: كيف وهو مولى؟ ـ أي: ليس من قبائل العرب ذوي الحسب ـ فقال: احتاج الناسُ إليه في دينهم، واستغنى عنهم في دنياهم، وما رأيت أحدًا من أشرافِ أهلِ البصرة إلَّا يروم الوصولَ إليه في حلقته، ليستمع قوله ويكتب علمه. فقال الحجَّاج: هذا ـ والله ـ السُّؤدُد[1].

وهذه الأخلاق القويَّة هي الَّتي جعلت مثل الشيخ المراغي يقول عن الحرب العالميَّة الثانية: «إنَّها حربٌ لا ناقة للمسلمين فيها ولا جمل». فيثير ثائرة الإنجليز وأعوانهم!

وجعلت الشيخ عبد المجيد سليم يقول كلمته التاريخيَّة متعجبًا ومعجبًا: تقتير هنا وإسراف هناك!

ولما لوَّح له بعضهم بالعزل قال: أيمنعني ذلك من التردُّد بين بيتي والمسجد؟! قيل: لا. قال: فلا أبالي بعد ذلك بما يكون.

وهي الَّتي جعلت الشيخ محمَّد الخضر حسين يقول كلمته المشهورة: إن لم يزد الأزهر في عهدي فلا ينقص منه.

٤ ـ الدعوة والحركة في المجتمع:

المُقَوِّم الرابع هو: الدعوة الدائبة، والحركة الدائمة، لهداية الحائرين، وإنقاذ الضائعين، وتنبيه الغافلين، فلا يجوز لعلماء الأزهر أن يعيشوا

(١) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (٣٢٧).

QaradawiBooks.com

في عزلة عن المجتمع، وهم قلبه النابض، ولسانه الناطق، أو يتصل به اتصال الجار العـادي بالجار، وهم أصحاب الدعـوة الربَّانيَّة، وحملة الرسالة المُحمَّديَّة.

يجب عليهم أن يعيدوا عهد أسلافهم من العلماء المعلِّمين، فقد كان عالم الأزهر من قبل مرشـدًا دينيًّا، وموجِّهًا شـعبيًّا، ورائـدًا اجتماعيًّا، ومربيًا روحيًّا، وقائدًا سياسيًّا.

كان يعيش في قومه «مولِّد نور» يربِّي الصغير، ويعلِّم الكبير، ويجيب من سأل، ويفتي من استفتى، ويؤمُّ المصلين، ويصلح بين المتخاصمين، ويـؤدِّب المقصِّريـن، ويذكِّـر الغافليـن، ويُهَـدِّد الظالميـن، وينصر المظلومين.. يهشُّ لمن يحضر، ويسأل عمَّن يغيب، ويعود من يمرض، ويعقد عقد من يتزوَّج، ويؤذِّن فـي أذن من يولد، ويُصَلِّي صلاة الجنازة على من يموت!

فهو فيهم كالأب في أسرته وأولاده، ينصح لهم ويسمعون، ويأمرهم ويطيعون، يحبُّهم ويحبُّونـه، يفرحون به إذا حضر، ويتشـوَّفون إليه إذا غاب، ويحزنون عليه إذا أُصيب، ويعيشون في ذكراه وسيرته إذا مات.

إذا غاب الأزهر:

أمَّا إذا غاب الأزهر عن السـاحة، فإنَّها لن تبقى خالية، سـيأتي من يشغلها؛ فالحياة الإنسـانيَّة لا تقبل الفراغ، فإذا لم تملأها بالحقِّ ملأها الشيطان بالباطل.

فإذا صمت الأزهر عن كلمة الصدق، فسيتكلَّم دعاة الزور، وإذا قصَّر أو تخلَّى عن دعوته، فثَمَّة من يعمل ليل نهار.

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

ومن للناس إذا فرَّط الأزهر أو غاب الأزهر، وهو الإمام والأسوة؟ وقد قال الشاعر:

بِالْمِلْحِ يُصْلَحُ مَا يُخْشَى تَغَيُّرُهُ فَكَيْفَ بِالْمِلْحِ إِنْ حَلَّتْ بِهِ الْغِيَرُ[1]؟!

في غيبة الأزهر وعلمائه عن ساحة الدعوة سيتيح الفرصة لألوان ثلاثة من التفكير، كل لون منها يوجِّه شريحة كبيرة من المجتمع.

١ ـ ظهور التفكير المادي:

اللون الأول: التفكير المادِّي الزاحف من الشرق في ثوب شيوعيٍّ يساري، أو من الغرب في شكل يمينيٍّ رأسماليٍّ، وأيًّا كان مصدره ففي طيِّه الشكُّ الَّذي يزلزل العقيدة، أو العِلمانيَّة الَّتي ترفض الشريعة، أو التحلُّل الَّذي يُنكِر الفضيلة، وفي هذا الضرر كلُّ الضرر على جميع المقدَّسات من العقائد والشعائر والتقاليد والأخلاق: ﴿**وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا**﴾ [النساء: ١٣٦].

وأكثر ما يشيع هذا التفكير بين رضعاء الثقافة الغربيَّة، وخريجي المدارس الأجنبيَّة والتبشيريَّة، ودعاة الأفكار الهدَّامة، والمذاهب المستوردة، والمفتونين العصريِّين من عُبَّاد أوروبا وأمريكا وروسيا.

٢ ـ التفكير المُخرِّف:

واللون الثاني: التفكير الديني الخرافي، وفي طيِّه الأوهام والخرافات، والبدع والضلالات، وأكثر ما يَشيع هذا بين العامَّة من الفلَّاحين

(١) ذكره من غير نسبة الزمخشري في ربيع الأبرار ونصوص الأخيار (٢٣٣/٣)، نشر مؤسسة الأعلمي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ.

QaradawiBooks.com

والعمَّال، وأشباه العامَّة من أنصاف المُتَعَلِّمين، وبعض المخدوعين والمسحورين من المثقفين. وقادة هذا التفكير هم المبتدعة من الدراويش ومشايخ الطرق، وأدعياء التصوُّف، والَّذين ينتشرون في البلاد انتشار «الإنكلستوما والبلهارسيا»، يفعلون في إضعاف الأفكار والنفوس أكثر ممَّا تفعله الأمراض المتوطِّنة في إضعاف الأجساد.

ذكرهم رقصٌ وزمر، وعلمهم تخريفٌ وجهل، وكراماتهم تضليلٌ وإفك، يعطون العهود لأخذ النقود، وينشئون «الموالد» لكسب «العوائد»، ويقيمون الليالي لملء البطون.

وقالوا: سَكِرْنا بحُبِّ الإلٰه ... ومَا أَسْكَرَ القَوْمَ إلَّا القِصَعْ[1]

ولسنا بهذا نطعن في التَّصَوُّف السُّنِّي السليم، الملتزم بالكتاب والسُّنَّة ومنهاج السلف في العلم والتربية والسلوك، وهو التصوُّف الَّذي يقوم على تصحيح النيَّة، وتجريد التوحيد، وموافقة السُّنَّة، واحترام الشريعة، والرجوع إلى أهل العلم في النوازل والمُلِمَّات، والتوقُّف عند عُروض الشُّبُهات، ويُعنَى بأمراض القلوب وعلاجها، وآفات الأنفس، ومداخل الشيطان إليها. هذا التصوُّف لا ننكره، إنَّما ننكر تصوُّف الأدعياء الَّذين اتَّخَذوا من دِينِ الله مَصْيَدَةً لدنيا النَّاس!

٣ ـ التفكير الديني المتطرِّف:

واللون الثالث: التفكير الديني المتطرِّف: تفكير الغلاة والمتنطِّعين، الَّذين يريدون أن يُحَجِّروا ما وسَّع الله، وأن يعسِّروا ما يسَّر الدين،

(١) البيت لظهير الدين ابن عسكر الموصلي، كما في وفيات الأعيان لابن خلكان (٣٨/١)، تحقيق إحسان عباس، نشر دار صادر، بيروت.

QaradawiBooks.com

ولا يُفرِّقون بين الظَّنِّيِّ والقطعي في الأدلَّة، ولا بين المُحْكَم والمتشابه في النصوص، ولا بين المُلْزِم وغير المُلْزِم في الأحكام، ولا بين العوامِّ والخواصِّ في النَّاس، ولا بين العزائم والرُّخَص في الفتوى، فتراهم يطالبون الناس بالسنن كأنَّها فرائض، ويحاسبونهم على المكروهات كأنَّها محرَّمات، وينكرون المختلف فيه كأنَّه مُجْمَع عليه.

وتراهم يُسيئون الظنَّ بالآخرين، كأنَّهم وحدهم الناجون ومن سواهم الهالكون، لا يلتمسون لأحدٍ عذرًا، ولا ينظرون إلى الشيء إلَّا من جانبه الأسود.

لا يعرفون أدب الخلاف، ولا يقيمون وزنًا لرأي الآخر، كأنَّما شعارهم: رأيُنا صواب لا يحتمل الخطأ، ورأْي المخالفين جميعًا خطأٌ لا يحتمل الصواب! على خلاف ما كان عليه السلف الَّذين اختلفت آراؤهم ولم تختلف قلوبهم، وصلَّى بعضهم وراء بعض، واعتبرت الأُمَّة اختلافَهم رحمة، وتنوُّعَ اجتهاداتِهم مرونةً وسَعَة، وكان هذا التعدُّد والتنوُّع ثروةً ضخمةً للأُمَّة في فقهها وفتواها وقضائها.

* * *

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

الأزهر والنقد الذاتي

احتفل الأزهر، وشاركه العالَم الإسلامي كلَّه، بمرور ألف سنة شمسيَّة على بنائه في قلب القاهرة مركزًا للتعليم والهداية.

ومن حقِّ الأزهر أن يحتفل بعيده الألفي، وأن يقف رافع الرأس، شامخ الأنف بما قدَّم للإسلام والعربيَّة طَوَال قرونٍ عشرة، كان فيها جامعًا للعبادة، وجامعة للعلم، ومعهدًا للتربية، وحصنًا للدين، وقلعةً للُّغة، وملاذًا للشعب، وقبلةً ثقافيَّة لأُمَّة الإسلام في كلِّ مكان.

ومن حقِّ المسلمين أن يَحْتَفُوا بالأزهر، وينوِّهوا بما قدَّمه لهم عبر تاريخه المديد من رعاية لأبنائهم الَّذين استقبلهم ـ من أنحاء الأرض ـ تلاميذ مبتدئين، وردَّهم علماء معلِّمين، ودعاةً للحقِّ، وهداةً للخلق، وحراسًا للعقيدة، وحماةً للشريعة، ورعاةً للأخلاق.

وقد كتب في هذا كثيرون، وكتبتُ معهم في «الكتاب التذكاري للأزهر»[1] في هذه المناسبة، ولكنِّي أريد للأزهر أن يقف اليوم مع نفسه وقفةً أراها واجبة، وهي وقفة للتأمُّل والمراجعة ومحاسبة النفس رغبةً في

(١) بمناسبة احتفالات العيد الألفي للأزهر، إعداد محمد رجب البيومي، عبد الودود إبراهيم شلبي، إشراف محمد السعدي فرهود.

QaradawiBooks.com

تلافي القصور واستكمال النقص، ومحاولة للوصول إلى الكمال المستطاع للبشر.

ومحاسبة النفس مبدأٌ إسلاميٌّ أصيل، له جذوره في القرآن والسُّنَّة وهَدْي السلف، ويعبِّر عنه المُحْدَثون بـ «النقد الذاتي»، وأولى الناس بتطبيق هذا المبدأ هو الأزهر، وسنحصر الحديث هنا عن الأزهر باعتباره معهدًا وجامعة.

فلا بدَّ من وقفة متأنيَّة بعد التوسُّع الأفقي في فتح المعاهد والكُلِّيَّات، وقفة يسأل الأزهر فيها نفسه: هل أدَّى هذا التوسُّعُ غَرَضَه أم لا؟ هل الأولى توجيه العناية إلى الكم أم إلى الكيف؟ هل المهمُّ أن أخرِّج ألفًا ليس فيهم أكثر من عشرة من الدعاة القادرين الصادقين، أم أخرِّج مائة فيهم خمسون من هذا النوع؟ الأمر يحتاج إلى دراسة ومراجعة. ثمَّ لا بدَّ من وقفةٍ لمراجعة أمرِ القديم والجديد في الأزهر: ماذا يبقى من القديم؟ وماذا يأخذ من الجديد؟

انتقاء الطلاب:

وكثيرًا ما شكا المخلصون الواعون من علماء الأزهر من نوعيَّة الَّذين يلتحقون بمعاهد الأزهر ممَّن تضيق بهم المدارس الإعداديَّة ونحوهم، فلا يجدون ملجأً إلَّا الأزهر. حتَّى قال بعض العلماء والأدباء من كثرة من رأى من هبوط المستوى، وسوء النتائج: إنَّ الأزهر أصبح يقبل المتردِّيَة والنطيحة وما أكل السَّبُع! فقلت له مستدركًا: بل ما يعافُ السَّبُع أن يأكله!

ولهذا كان الانتقاء ضرورة لا مفرَّ منها، فإذا كان الأزهر مصنعًا للدعاة، فليست كلُّ خامة بشريَّة صالحة لأن يصنع منها داعية.

QaradawiBooks.com

وإذا كان الأزهر بمثابة جيش الخلاص، فليس كلُّ إنسانٍ أهلًا للتجنيد في هذا الجيش، لا بدَّ من شـروط، ولا بدَّ من فرزٍ وفحص، ولا بدَّ من فترةِ اختبارٍ، يستمرُّ فيها الصالح للجنديَّة ويُعفَى من ليس لها أهلًا.

ولقد سـمعتُ من أسـتاذنا الإمام الأكبـر عبد الحليم محمود رَحِمَهُ اللَّهُ ـ حين كان أسـتاذًا بكلية أصول الدين ـ محاضرةً تحدَّث فيها عن كُلِّيَّة تبشيريَّة في إحدى الكنائس في فرنسا، زارها لأوَّل مرَّة، فرأى فيها عجبًا، رأى طلَّابًا حُلِقت شعور رؤوسهم بالموسى إلَّا شريطًا ضئيلًا دائرًا حول الرأس، وحيَّاهم فلم يردُّوا عليه التحية، وحـاول محادثتهم فلم يُجِيبُوه ببنت شَفَة! وعَجِبَ لهذه الظاهرة أشدَّ العجب، فسأل المديرَ عن سرِّ هذا، فأخبره أنَّهم في فترةِ صمتٍ طويلٍ، يحرم عليهم فيه الكلام المعتاد حرمةً تامَّة اختبارًا لأعصابهم، وامتحانًا لإرادتهم وسلوكهم في هذه الفترة.

وأخبره المديرُ أنَّ فترة الامتحان سـتَّة أشهر، تنتهي بغربلةٍ وتصفية، لا يبقى بعدَها إلَّا الصالحون للتبشير بالمسيحيَّة في الأرض!

هكذا يُشَدِّد القومُ فيمن يُعِدُّونهم للتبشير بدينهم، فما بالنا نحن نأخذ كلَّ من هبَّ ودبَّ، دون انتقاء ولا تمييز؟!

وبعد هـذا الانتقاء لا بـدَّ من رعايـة وتربية طويلة الأمـد، عميقة الجـذور، لا تجعل مجرَّد حفظ المعلومات وتحصيـل المعرفة غاية في نفسها، فمن حصَّلها وأفرغها في ورقة الإجابة عند الامتحان فهو الطالب الناجح، بل المتفوِّق المتألِّق.

والحقُّ أنَّنا نريد مسـلمًا متكامل الشـخصيَّة، له عقل المسـلم المتفقِّه، وله قلب المسـلم التقـي، وله خُلُق المسـلم الملتزم، وله

QaradawiBooks.com

حكمة المسلم الداعية، وعنده إيجابيَّة المسلم المجاهد، ولديه ثقافة المسلم المعاصر.

وهذا يقتضي إعداد برامج تثقيفيَّة وتربويَّة متنوِّعة ومتكاملة، ترعى أبناء الأزهر وتستبقي العناصر الطيِّبة منهم، وترتقي بهم في مدارج السمو الإسلامي المنشود، وتطرد العناصر الخبيثة أو الضعيفة الَّتي لا تصلح لحمل الرسالة.

فلا يجوز أن يبقى في الأزهر من يُفَرِّط في أداء الصلوات المفروضة، أو يُعرَف بسوء السيرة، أو يؤخذ عليه شذوذٌ في الطبع، وعِوَج في السلوك، يجعله بغيضًا إلى النَّاس، إلى غير ذلك من النقائص العقليَّة أو النفسيَّة أو الخُلُقيَّة الَّتي يُعاب بها من يحمل رسالة هداية إلى النَّاس.

وإذا عجز الأزهر عن تنفيذ ذلك في معاهده وكُلِّيَّاته عامَّة، وكُلِّيَّة الدعوة خاصَّة، فإنَّه أشبه بمن يخوض معركةً بجنود مُصابين بالعاهات، ضعفاء في التسليح، قاصرين في التدريب، في مقابل جندٍ قويِّ الإعداد، كامل التسليح، مُستكمِل التدريب، فلا تكافؤَ ولا تقاربَ، فكيف تكون النتائج؟!

انتقاء الأساتذة:

وإذا كان انتقاء الطلاب للأزهر واجبًا، فأوجب منه انتقاء أساتذته، الَّذين يتخرَّج الطلاب في حضانتهم، ويتلقَّون عنهم العلم والعمل والفكر والسلوك.

وإنَّما نجح الأزهر قديمًا، لأنَّ الله هيَّأ له شيوخًا كانوا علماء ومربِّين معًا، كان طالبهم يأخذ منهم العلم لعقله، والخشية لقلبه، والتقوى

QaradawiBooks.com

لسلوكه، والزهد لمعيشته، والورع لتعامله، وكانت علاقته بطلابه علاقة المُعَلِّم بتلاميذه من الناحية العلميَّة، والشيخ بمُرِيديه من الناحية الرُّوحِيَّة، والأب بأبنائه من الناحية العاطفيَّة.

هؤلاء الربَّانيُّون الَّذين عَلِموا وعَمِلوا وعلَّموا هم الَّذين صنعوا الأزهر القديم، وبمثلهم يُرتجَى أن يُصنع الأزهر الحديث.

أمَّا الَّذين غزت عقولهم الشكوك والشبهات، أو لوَّثت قلوبَهم الأهواء والشهوات، فلا يصلحون بحالٍ أن يكونوا من هيئة تدريس الأزهر؛ لأنَّ المُعَلِّم المرتاب لن يمنح تلميذه يقينًا، والمعلم المدخول السلوك لن تؤخذ منه أسوة حسنة، ففاقدُ الشيء لا يعطيه، وكلُّ إناء ينضحُ بما فيه، ولن يستقيم الظلُّ والعودُ أعوج!

وهذا ينطبق على مُدرِّسي المعاهد، وأساتذة الكُلِّيَّة جميعًا.

فإذا كانت الجامعة تتعامل مع الطالب في مرحلة نضوجه؛ فإنَّ المعاهد تتعامل معه في مرحلة تأسيسه، وكلتا المرحلتين لها أهميَّتها وخطرها.

وهذا ينطبق كذلك على أساتذة الموادِّ الأصليَّة من علوم الدِّين والعربيَّة، وعلى مُعَلِّمي المواد الأخرى الَّتي يسمُّونها «الحديثة» وما هي بحديثة، فهي علومٌ أتقنها المسلمون وتفوَّقوا فيها، وكانوا مُعَلِّمي العالَم لها عدَّة قرون، وكانت كتبُهم المؤلَّفة بالعربيَّة مراجعَ معتمدةً للعالم كلِّه.

ولا يجوز أن يدخل على الطالب مُدَرِّس للطبيعة أو الأحياء أو الجيولوجيا ليهدم ما يقوله مُعَلِّم التفسير أو الحديث أو الفقه.

فهذا لا يُنتج إلَّا البلبلة، واضطراب الفكر والشخصيَّة لدى الطالب، أو انهزام الفكر الديني أمام الفكر الآخر، إذا كان مُدَرِّس المواد الحديثة

QaradawiBooks.com

ألحنَ بحُجَّته، وأقدرَ على الإقناع والإفهام من صاحبه الَّذي يتكلَّم بلغةٍ غير لغة العصر.

وما قلناه في شأن مدرسي «العلوم الحديثة» في معاهد الأزهر، نقوله في شأن مدرِّسي الكُلِّيَّات الحديثة في جامعة الأزهر (الطب والصيدلة والهندسة والزراعة والتجارة ونحوها).

فلا يجوز أن يُقْبَل أو يبقى في هذه الكُلِّيَّات من يجهل رسالة الإسلام وشمولها، وتوازنها وعمقها وتفوقها على كلِّ الديانات والفلسفات، ولا من يرتاب في ذلك، بَلْهَ من يُنْكِرُ هذه الرسالة ويرفضها، ومثله من يُقَدِّم من سلوكه مثلًا سيئًا لطلابه، كالَّذي يترك الصلاة، أو الَّتي تخلع الحجاب، بدعوى أنَّ هذه حُرِّيَّة شخصيَّة؛ فالإسلام لا يُفَرِّق بين السلوك الشخصي المُعْلَن، وبين الجانب الاجتماعي في تقويم الناس، وترشيحهم للمناصب والأعمال. والحقُّ أنَّ باب الأزهر يجب أن يُغْلَق في وجه كل رجلٍ يستهين بأمر الصلاة، أو امرأةٍ تستهين بأمر الحجاب، ولا نَنْسى هنا أنَّ هذه الكُلِّيَّات في القاهرة أصبحت أكثر عددًا من الكُلِّيَات الأصليَّة، وفيها من الطلاب عدد أوفر، وفيهم عددٌ غير قليل ممَّن يملكون من التفوق العلمي، والاستقرار النفسي، والتمكُّن الاجتماعي، ما يُؤَهِّلُهم للقيام بدورٍ قياديٍّ مرموق لخدمة الإسلام ودعوته وأُمَّته.

وقد لاحظت خلال السنوات الأخيرة أنَّ جلَّ الطلاب الَّذين يقومون بدورٍ بارز في نشاط الجماعات الإسلاميَّة في جامعة الأزهر ـ وفي غيرها أيضًا ـ من طُلَّاب الكُلِّيَّات العلميَّة هذه. لهذا كانت العناية بها لازمة، لإبراز طابعها الإسلامي علمًا وعملًا، حتَّى لا تكون مُجَرَّد نسخة مُكَرَّرة من زميلاتها في الجامعات الأخرى.

QaradawiBooks.com

أهمِّيَّة الجامعة:

يجب أن ينتهي اللغط حول تطوير الأزهر، فهو ـ أيًّا كانت دوافعه ـ قد فتح للأزهر أبوابًا جديدة للعمل، وهيَّأ له جامعةً ضخمةً يمكنها أن تؤدِّي رسالة كبرى لمصر وللإسلام وللعالم، إذا أحسن الأزهر الاستفادة منها، وأزال الازدواج من داخلها. فالواقع أنَّها جامعتان في جامعة، جامعة قديمة للمشايخ، وجامعة حديثة للمدنيِّين أو الأفنديَّة! حتَّى إنَّ لكلٍّ واحدة منهما موقعها ومكانها اللائق بها. فواحدة في حي الأزهر القديم: الدَّرَّاسة. وأخرى في امتداد القاهرة الجديد: في مدينة نصر.

والمقرَّرات الدينيَّة الَّتي تُدرَّس في الكُلِّيَّات الحديثة: الطبِّ والهندسة والزراعة والصيدلة ونحوها مقرَّرات لا تكفي ـ في مجموعها ـ لتهيئة داعية مسلم، طبيب أو مهندس، إلخ، كما هو الشأن في دعاة الأديان الأخرى. ولا تؤدِّي ما يُراد من مثلها من تكوين «عقلٍ مسلم» يفهم فلسفة الإسلام ووجهة نظره في القضايا الكبرى عامَّة، وفيما يتَّصل بتخصُّصه ومجال دراسته خاصَّة.

ولقد طلب إليَّ أحد مديري جامعة الأزهر بعد بحثٍ ومناقشة معه: أن أكتب صفحات موجزة مركَّزة عمَّا يجب أن تكون عليه المقرَّرات الإسلاميَّة في الكُلِّيَّات الحديثة في الأزهر، وألحَّ عليَّ في ذلك، ولكنِّي تردَّدت في الاستجابة قائلًا له: إنَّني أعتقد أنَّ نصيب مثل هذه الورقات أن تضيع في الأدراج بين الأوراق الكثيرة الأخرى! إلَّا أنَّه أكَّد لي أنَّها ستكون موضع الدراسة والاعتبار. وكتبتها وسلَّمتها، وكان مصيرها ما توقَّعته: اختنقت هناك حيث حُبِسَتْ بعيدًا عن الضياء والهواء!

QaradawiBooks.com

وتالله إنَّه لحرامٌ: أن تضاف هذه الكُلِّيَّات إلى الأزهر، ويقال: إنَّ الهدف منها تخريج مسلمٍ متخصِّصٍ قادرٍ على الدعوة إلى الإسلام بأسلوب العصر، ثمَّ لا يدرس من الإسلام إلَّا قشورًا لا تنقع غُلَّة، ولا تشفي عِلَّة، وكثيرًا ما يراد منها توزيع أكبر عددٍ من الأوراق أو المذكِّرات المطبوعة على أكبر عددٍ من الطلاب! المهمُّ ما يعود بالربْحِ على الأستاذ، لا ما يعود بالفائدة على الطالب.

إلَّا أنَّ من الضروري إعادة النظر في هذه القضيَّة، وإعطاءها من الاهتمام ما تستحقُّه.

ومن الضروري كذلك؛ إذابة الفوارق بين أبناء الجامعة الواحدة، وصهر الجميع في بوتقة الأزهر الواحد. وهذا يقتضي أن يكون الجميع في مكانٍ واحد، يلتقي فيه الأساتذة والطلاب في نشاطات مشتركة، ويتبادلون فيها الأخذ والعطاء، والتأثُّر والتأثير.

مراجعة المناهج:

ممَّا يجب مراجعته والنظر فيه: مناهج الأزهر ومقرَّراته الدراسيَّة، ففي الأزهر قديمٌ وجديدٌ، وكلاهما يحتاج إلى إصلاحٍ وتسديد.

أمَّا القديم في مناهج الأزهر ومقرَّراته، فقد بقي على قدمه، لم يطرأ عليه تغيير يُذْكَر رغم ما سَمَّوه: «تطوير الأزهر».

ويبدو أنَّ خوف مشايخنا من عواقب التطوير وآثاره، جعلهم يَعَضُّون بالنواجذ على القديم الَّذي تميَّزوا به حتَّى لا يضيع، فتركه لهم «المُطَوِّرون» كما هو.

QaradawiBooks.com

علم التوحيد:

خذ مثلًا: علم التوحيد والعقائـد، وانظر معي نظرة علميَّة موضوعيَّة محايدة في مناهجه وكتبـه: ترى هل مناهج التوحيـد وكتبه في الأزهر قادرة على تثبيت العقيدة لدى المسـلم، أو الدفاع عنها أمام الملحد أو المتشكِّك؟

إنَّ كثيرًا من القضايا الَّتي تثيرها، والأدلَّـة الَّتي تُقَدِّمها، لم يعد ممَّا يهمُّ العقل المعاصر، وكثير منها يعتبر من رواسب الجدل التاريخي بين الفرق بعضها وبعض، ومن مخلَّفات العقل اليوناني ومن تأثَّر به إيجابًا وسـلبًا. وأولى من ذلك دراسـة التوحيد مـن بيِّنات القـرآن الكريم، وصحيح السُّنَّة النبويَّة، وما فيهما من براهين، بعيدًا عن اللعب بالألفاظ والإغراق فـي المجادلات، وهو ما ألَّف فيه العلامـة اليمني ابن الوزير كتابه القيِّم «ترجيح أساليب القرآن على أساليب اليونان».

وأُسَجِّل هنا تجربة ذكرها شـيخنا الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود رَحِمَهُ اللَّهُ في كتابه: «أوروبا والإسـلام» قال: «منذ سنواتٍ جاء أحد الأمريكان ليمكثَ في مصرَ فترة من الزمن يتعلَّم فيها الإسـلام، واتَّصل بالهيئات الَّتي تُمَثِّل الإسـلام، فبلغت الحَيْرة منتهاها حينما أرادت هذه الهيئات اختيار كُتُبٍ يتعلَّم من خلالها الإسلام.

ومن الطبيعي أنْ يتَّجه الذهن إلى كتب علم الكلام، فهي كتب الدفاع عـن العقيدة، ولكـنْ إذا نظرنا في كتـب علم الكلام نجـد أنَّها جدالٌ لا ينتهي، بين الَّذين يبحثون فيه بالزيغ وابتغاء الفتنة، والجدال فيها يبدأ ويُعاد ولا ينتهي.

QaradawiBooks.com

ثُمَّ هي تصوُّر على الخصوص المستوى الثقافي للعصور الوسطى، ولا تمُتُّ بصلة إلى الأبحاث الحديثة. ومن الطبعي أن تكون كذلك لأنَّها أُلِّفَتْ في العصور الماضية، وما أُلِّف منها حديثًا أُلف على نمطها اتباعًا للآباء والأجداد، وبُغْضًا للخروج عن المألوف.

وإذا لم نأخذ الدِّين من كتب علم الكلام، فهل نأخذه من كتب التفسير؟!

لقد انتهى تفسير القرآن إلى أنْ أصبح مسرحًا يتبارى فيه النحويُّون واللغويُّون وبلاغيُّو العصور المتأخِّرة، وغشت هذه النواحي على الهداية لما أُنزل الكتاب من أجله، أي الهداية للأقوم»[1] انتهى.

لقد درست التوحيد في الأزهر خلال دراستي في المعاهد الابتدائيَّة والثانويَّة وكُلِّيَّة أصول الدين، درسته في مذكرات ألَّفها أساتذتنا، ودرسته في كتب خلَّفَها السابقون، مثل شرح الجوهرة للَّقاني.

ثم درسته بعد في العقائد النَّسَفِيَّة، وشرحها للسعد التفتازاني، وحاشية على الشرح للخيالي، وأخرى للعصام، وحاشية على الحاشية لعبد الحكيم السيالكوتي.

وكانت رياضة ذهنيَّة ممتعة حقًّا، ونحن نُحَلِّل الألفاظ، ونناقش العبارات والأفكار، وننتقل بين المتن والشرح والحواشي الثلاثة في صفحة واحدة. وكثيرًا ما كُنَّا نبقى في مناقشة الجملة أو الفقرة القصيرة أيامًا أو أسابيع حتَّى نهضمها. وأذكر أنَّ الفقرة الأولى من العقائد: «قال أهل الحقِّ: حقائق الأشياء ثابتة، والعلم بها مُتَحَقِّق، خلافًا للسوفسطائيَّة»،

(١) أوروبا والإسلام صـ ٤٤، نشر مطابع الأهرام التجارية، القاهرة.

QaradawiBooks.com

أخذت منَّا أسابيع حتَّى انتهينا منها! وكان الَّذي يشرحها لنا: أستاذنا الشيخ: محمَّد بيصار، قبل أنْ يسافر إلى لندن للحصول على الدكتوراه.

ولكن هل استخدمنا هذا في تعليم العقيدة الإسلاميَّة للنَّاس؟ أو حتَّى في الدفاع عنها أمام ملاحدة العصر؟

أعتقد أنَّ الجواب بالنفي.

ذلك أنَّ لكلِّ عصرٍ مشكلاته العقليَّة الَّتي يهتمُّ بها، وله أدواته في فهمها وعرضها، وله أسلوبه في معالجتها.

وقد اهتمَّ المتقدِّمون من علمائنا بقضايا عصرهم الَّتي شغلتهم، وعالجوها بمنطقهم، ولغة زمانهم.

فلماذا لا نهتمُّ نحن بقضايا زمننا، ومشكلات عصرنا؟ ولماذا لا نعالجها بأسلوبنا ولغة حياتنا؟

لقد ألَّف ابن حزم «الفِصَل في المِلَل والنِّحَل»، وألَّف الشهرستاني كتابه «الملل والنِّحَل»، وألَّف ابن تيمية «الجواب الصحيح لمن بدَّل دين المسيح».

واليوم ينبغي أن نعرف ملل العصر ونِحَله، ينبغي أن نعرف ديانات العصر الكبرى الكتابية (كاليهوديَّة والنصرانيَّة) والوضعيَّة (كالهندوسيَّة والبوذيَّة)، ونعرف المذاهب الأيديولوجيَّة الكبرى مثل الماركسيَّة والرأسماليَّة. ونعرف الفلسفات المعاصرة: كالوجوديَّة والعدميَّة وغيرها.

على أنَّ علم التوحيد أو علم الكلام ـ كما كان يُسَمَّى ـ إنَّما نشأ ونما للدفاع عن العقيدة ضدَّ مطاعن الزنادقة، وشبهات المبتدعين، وأقاويل

QaradawiBooks.com

الفلاسفة باستخدام سلاحهم نفسه. ولم يقصد منه أن يُتَّخذ لإثبات العقائد وتقريرها.

لقد تعبنا في فهم مشكلة «الذات والصفات»: هل صفات الله تعالى عين ذاته سبحانه أم هي غير ذاته تعالى؟ أم هي لا عين ولا غير؟ خلاف بين المعتزلة والأشاعرة وغيرهم، طال فيه الجدل، وحَمِيَ فيه الوَطِيسُ، وشغل به العقل الإسلامي قديمًا، وشُغِلْنا معه حديثًا، دون جدوى.

وقد تفرَّع عن هذه المشكلة مشكلةٌ أخرى أدهى وأمرُّ، هي مشكلة القول بـ «خلق القرآن» وما أثارته من جدل، وما هيَّجته من فتن، وما سبَّبته من محن، كانت الأُمَّة في غنًى عنها: هل القرآن الكريم قديمٌ أو مخلوق؟ وإذا كان قديمًا فكيف يكون مع الله قديم؟ وإذا كان مخلوقًا فكيف وهو كلام الله؟

وكان أولى من ذلك أخذ العقائد في شأن الألوهيَّة بالتسليم من الوحي، دون بحث في معرفة الكنه، فنحن لم نعرف حقيقة حياتنا: حقيقة أنفسنا بعد! ولا زال الإنسان ـ في نظر كبار علماء الكون إلى اليوم ـ ذلك المجهول.

ومثل ذلك العلاقة بين الإرادة الإلٰهيَّة والإرادة البشريَّة، وهي مشكلة القدر أو الجبر والاختيار، وماذا لله تعالى؟ وماذا للإنسان؟ وهي مسألة حيَّرت الفلاسفة من قبل، وستُحَيِّرهم من بعد.

إنَّ هذا البحر الخضم من الجدل والبحث المتعمِّق في الجانب الإلٰهي، قد سبح فيه المتكلِّمون من كل الفِرَق حتَّى كلُّوا، وغاصوا حتَّى عَيُّوا وملُّوا، ولم يحصلوا في النهاية على شيءٍ ذي بال، يستطيعون أن

QaradawiBooks.com

يَهْدوا به كافرًا إلى إسلام، أو حائرًا إلى إيمان، أو شاكًّا إلى يقين، أو يزيدوا به مؤمنًا إيمانًا ومهتديًا هدًى.

بل لم يستطيعوا أن يَحْصُلوا لأنفسهم على ما يثلجُ به الصدر، ويطمئنُّ به القلب حتَّى تمنَّى بعضُهم في آخر عُمُره إيمانًا كإيمانِ العجائز[1]!

علم الفقه:

وممَّا ينبغي إعادة النظر فيه: علم الفقه، وهو العلم الَّذي يضبط حياة الفرد المسلم والجماعة المسلمة بأحكام الشرع، سواء منها ما يختصُّ بالعلاقة بينه وبين الله تعالى، وهو ما يُنَظِّمه فقه العبادات، أم ما يتَّصل بالعلاقة بينه وبين أفراد أسرته وهو الزواج وما يترتَّب عليه، أو ما يُسَمَّى «الأحوال الشخصيَّة»، أم ما يتعلَّق بتنظيم المبادلات والعلاقات المدنيَّة بين الناس بعضهم وبعض، وهو ما يُسَمَّى «المعاملات»، ويدخل في القانون تحت اسم «القانون المدني»، أم ما يتَّصل بالجرائم والعقوبات وهو ما يُسَمَّى في الفقه: «الحدود والقصاص والتعزير»، ويدخل في القوانين تحت عنوان «التشريع الجنائي»، أم ما يختصُّ بالصلة بين الدولة والشعب أو بين الحاكم والمحكوم وهو ما يُسَمَّى «السياسة الشرعيَّة»، ويسمَّى عند القانونيِّين «القانون الدستوري» أو «الإداري». وهناك أيضًا الجهاد والسير، وهو ما يدخل تحت اسم «العلاقات الدوليَّة».

وهذا العلم في حاجة إلى أن ينظر في مناهجه ومقرَّراته وكتبه، ليُحَقِّق هدفه في ضوء المبادئ التالية:

---

(١) أُثِر ذلك عن إمام الحرمين الجويني، قاله في أواخر عمره. كما ذكر ذلك السبكي في طبقاته (١٨٥/٥)، تحقيق عبد الفتاح الحلو ومحمود الطناحي، نشر هجر للطباعة والنشر، ط ٢، ١٤١٣هـ.

QaradawiBooks.com

١ ـ أن نصلـه بالواقع، ونربطه بالحياة. علـى معنى أن ندرس حكم الشـرع في واقعنا لا في واقع من سـبقونا، ونجيب عن الأسـئلة الَّتي يطرحها عصرنا، لا عن أسئلة طرحها من قبلنا، ولم يَعُدْ لها وجود بيننا.

فلا يجـوز أن يتخرَّج طالب فـي الأزهر لا يعرف زكاة الأسـهم أو المصانع أو العمارات ونحوهـا، في حين يحفظ زكاة الإبل وما فيها من بنت مخاض وبنت لَبُون وحِقَّة وجَذَعة، وليس في بلده إبلٌ سائمة قطُّ!

ولا يجوز أن يتعمَّق في دراسة كتاب «الرقيق والعتق» وما يتبعه من أبواب: المُدَبَّـر وأمِّ الولد والمكاتَب ونحوها، وقـد أُلْغِيَ الرقُّ الفردي كلُّه، على حين يجهل أعمال المصارف (البنوك) وشـركات المساهمة والتأمين ونحوها.

والأمثلة في هذا المجال كثيرة، وفيما ذكرناه ما يغني عن التطويل.

٢ ـ أن ندرس الفقـه مقرونًا بأدلَّته النقليَّة، وتعليلاتـه العقليَّة، مربوطًا بحكمة تشريعه، وأن تُردَّ فيه الفروع إلى الأصول، والجزئيَّات إلى الكُلِّيَّات.

فالفقه الإسـلامي ـ كما هو رأي جمهور الأُمَّة ـ فقـهٌ منطقيٌّ مُعَلَّل، لا يجمع بين مختلفين، ولا يفرِّق بيـن متماثلين. وهذا فيما عدا الأمور التعبديَّـة المحضة. كمـا أنَّه يهدف دائمًـا إلى تحقيـق مصالح الخلق: الضروريَّة والحاجيَّة والتحسـينيَّة، ودرء الشـرور والمفاسـد عنهم، أو تخفيفها وتقليلها إن لم يمكـن درؤها؛ فربط أحكام الفقه بمقاصدها في غاية الأهمِّيَّة.

٣ ـ أن نكتبه بلغـة يفهمها عصرنـا، من حيث التقسـيم والعرض والأسلوب، واسـتخدام المعارف العصريَّة في بيان أسـراره، وتوضيح

QaradawiBooks.com

مقاصده، والاستفادة ممَّا كتبه المتخصِّصُون في مجالاتهم المختلفة، كالاستفادة ممَّا كتبه أهل العلم والطبِّ في أضرار الخمر والخنزير، وما كتبه الاقتصاديُّون في بيان مضارِّ الربا، وغير ذلك.

ولا يعني هذا إهمال كتب التراث، بل لا بدَّ من الجمع بين القديم النافع والجديد الصالح، والتدريب على قراءة التراث في الفقه وغيره جزء أساسي من مُهِمَّة الأزهر التعليميَّة.

٤ ـ أن يتعلَّم طالب الأزهر أنَّ اختلاف المذاهب والمدارس الفقهيَّة ليس اختلافًا بين حقٍّ وباطل، إنَّما هي وجهاتُ نظرٍ مختلفة، ناشئة عن اجتهادٍ تعدَّدت فيه المشارب، وتنوَّعت المدارس، وتباينت الأفكار، وهو اجتهادٌ يؤجرُ صاحبُه عليه أصاب أم أخطأ. وهذا الاختلاف رحمةٌ بالأُمَّة، وسَعَة في الشريعة، ومرونة في الفقه، وثروة فكريَّة وتشريعيَّة لا يعرف قيمتها إلَّا من عايشها. وقديمًا قال علماؤنا: من لم يعرف اختلاف الفقهاء لم يَشَمَّ رائحةَ الفقه!

٥ ـ أنْ يكون الفقه مادَّة حيَّة مرنة، تتسع لكلِّ حاجات العصر، وتغيُّرات الحياة المتجدِّدة. وإذا كانت الشريعة ـ بنصوصها المُحْكَمة، وقواعدها الكُلِّيَّة، وأحكامها القطعيَّة ـ ثابتة لا تتغيَّر، فإنَّ الفقه ـ الَّذي يعكس فهمنا البشري لها، واستنباطنا الأحكام من أدلَّتِها التفصيليَّة ـ يتغيَّر بتغيُّرنا نحن البشر: زمانًا ومكانًا وحالًا. ويجب أن يظهر هذا التغيُّر إذا عرضناه في صورة تأليف أو فتوى أو قضاء، ففرق ما بين الشريعة والفقه: أنَّ الشريعة وحيُ الله، والفقه جهد المسلمين.

وإذا كان كثير من الخلاف بين أبي حنيفة وصاحبيه أبي يوسف ومحمَّد قيل فيه: إنَّه اختلاف عصرٍ وزمانٍ، لا اختلافُ حُجَّة وبرهان،

QaradawiBooks.com

وأنَّ الإمام لو رأى ما رأياه لقال بما قالاه. مع قرب الزمن بينهما، فكيف وبيننا وبين عصور الاجتهاد قرونٌ وقرون؟

وكذلك كان للشـــافعي مذهبان: قديمٌ قبل وصوله إلى مصر، وجديدٌ بعد استقراره في مصر، وقد رأى فيها ما لم يكن رأى، وسمع ما لم يكن سمع، فغيَّر اجتهادَه في كثيرٍ من الأمور، وأصبح مألوفًا أن يقال: قال في القديم، وقال في الجديد.

هذا وقد ظلَّت الحياة في عصورهم ساكنة لا يكاد يتغيَّر لاحقها عن سابقها، إلَّا قليلًا، فكيف وعصرنا الحديث قد تغيَّرت فيه شؤون الحياة عمَّا كانت عليه تغيُّرًا كبيرًا بل هائلًا وسريعًا، امتدَّ طولًا وعرضًا وعمقًا، وشمل شؤون الفرد والأســـرة والمجتمع والعالم، في أموره الاقتصاديَّة والاجتماعيَّة، والسياسيَّة والإداريَّة، والدســـتوريَّة وعلاقاته الدوليَّة. ولو افترضنا أحدًا من أهل القرون الماضية ـ بل من أهل القرن الماضي فقط ـ بُعث من قبره، ورأى ما نحن عليه اليوم؛ لأنكر كلَّ شيء في حياة الناس ولاتَّهم نفسه بالجنون، أو اتَّهم الناسَ كلَّهم بالجنون.

وهذا التغيُّر الجذري يقتضي فقهًا جديـــدًا، واجتهادًا جديدًا، يتحرَّك بحركة الحياة، ولكن لا ينزلق معها؛ بل يضبطها بشرع الله.

* قضيَّة القديم والجديد:

أمَّا قضيَّة القديم والجديد في الأزهـــر، فالحق أنَّها على جانب كبير من الأهمِّيَّة، وهي في حاجة إلى إعادة نظر، فليس كلُّ قديمٍ نافعًا، وليس كلُّ جديدٍ مرفوضًا، على أنَّ الأزهر لا يُدرِّس أفضل القديم. إنَّما يُدرِّس في الغالب قديـــم العصور المتأخِّـــرة. وكم في العصـــور الزاهرة ما هو أخصب مضمونًا وأسلس أسلوبًا.

QaradawiBooks.com

ومن هنا لا بدَّ من إبقاء القديم في الأزهر، ولكن بعد أن نحسن اختياره من أفضل ما عندنا من حيث العمق والوضوح والتنوع. على أن يعلِّم الأزهر أبناءه كيف يقرؤون القديم قراءة فهمٍ ووعيٍ تصلهم بالأمس، ولا تعزلهم عن اليوم، وبغير هذا يفقد الأزهر نَفسه وهويته؛ فالمعاصرة لا تعني إلغاء القديم كلِّ قديم، كما أنَّ الأصالة لا تعني رفض الجديد أيِّ جديد.

فليكن موقفنا وسطًا بين دعاة «الجمود» الَّذين ينادون بأن يبقى كلُّ قديم على قدمه، وإن لم يوجبه شرع، ولم تقتضه مصلحة، وبين دعاة «التحديث» الَّذين يريدون نسف القديم كلِّه، لإنشاء أزهر حديث ليس له من الأزهر إلَّا اسمه!

وإنِّي لأخشى ـ إنْ فقدنا التوازن بين القديم والجديد ـ أن ينبت الأزهر خِرِّيجًا هجينًا لا يحسن قراءة التراث، كما لا يحسن قراءة العصر، فلا يعترف به التراثيُّون لأنَّه لم يفهم لغتهم، ولا يقر له العصريُّون، لأنَّه لم يهضم علمهم.

الأزهر الَّذي نريده هو الَّذي يجمع بين أنفَس القديم، وأنفع الحديث، فقدمُه راسخة في القرون الهجريَّة الأولى، ورأسه تناطح القرن الخامس عشر.

وأمَّا الجديد في مناهج الأزهر، فقد نُقِلَ نقلًا حرفيًّا، إمَّا من وزارة التربية والتعليم، وإمَّا من الجامعات المدنيَّة. ومعلوم أنَّ المناهج في هذه وتلك مثقلة من قديمٍ بالآفات والثغرات، منذ عهد الاستعمار وتسلُّطه ونفوذه، ولم تستطع أن تتخلَّص من كثير منها إلى اليوم، فكان يحسن بالأزهر ألَّا ينقلها بعُجَرِها وبُجَرِها وحُلْوِها ومُرِّها، وأن يعمل فيها يد

QaradawiBooks.com

التهذيب والحذف والانتقاء، فيأخذ منها ويدَع وَفْقَ رُوحه وأهدافه، ويضيف إليها ويُهَذِّب فيها تبعًا لما تقتضيه رسالته العظمى.

وأخوف ما يخاف على الأزهر وعلى جامعة الأزهر: الاقتصار على «المذكِّرات» الَّتي توضع فيها المعلومات لخدمة «الامتحانات»، أي توضح المعارف في صورة «برشام» كالذي يصنعه الطلبة المتمرِّسون بالغش، وفرق ما بين «برشام» الطالب و«برشام الأستاذ» أنَّ ذاك ملفوف، وهذا منشور! وأنَّ «برشام» الطالب محظور، و«برشام» الأستاذ مسموح به!

لا بدَّ من الاجتهاد والجهاد لوضْع المناهج والكتب الملائمة لها.

لا بدَّ للأزهر ـ إذن ـ أن يراجع قضيَّة القديم والجديد فيه برُمَّتها، إذا أراد أن يؤدِّي رسالته الكبرى للمسلمين في قرنهم الجديد.

ولن يكون الأزهر أزهرَ إذا كانت معاهده صورة من مدراس وزارة التعليم، وكانت كُلِّيَّاته نسخة من كُلِّيَّات الجامعات المدنيَّة.

إنَّما يكون الأزهر أزهرَ حقًّا إذا أخذ بأحسن ما في القديم، وأفضل ما في الجديد، وشقَّ طريقه العلمي في قوَّة واستقامة، مُتَحَرِّرًا من كلِّ تبعيَّة، مستقلًّا عن غيره من الجامعات الَّتي ليس لها مثل رسالته.

يكون الأزهرُ أزهرَ إذا خرَّجت كُلِّيَّاته الأصليَّة أجيالًا قادرة على فهم التراث وإفهامه غير معزولة عن الحياة المعاصرة.

وخرَّجت كلِّيَّاته الجديدة أجيالًا قادرةً على فهم العلوم المعاصرة من منطلق إسلامي، وفي إطار إسلامي، ولهدف إسلامي.

يكون الأزهر أزهرَ إذا استطاع أن ينشئ في العلوم الإنسانيَّة والاجتماعيَّة مدارس فكرية إسلاميَّة مستقلَّة، غير تابعة للشرق ولا للغرب،

QaradawiBooks.com

ولا خاضعة لتأثير اليمين أو اليسار، تستمدُّ فلسفتها من أصول الإسلام وينابيعه الصافية، بعيدًا عن غُلُوِّ المتطرِّفين، وتحلُّل المُقَصِّرين.

نريد «المدرسة الإسلاميَّة» في «الاقتصاد»، المُتَحَرِّرة من تأثير المدرسة الكلاسيكيَّة والمدرسة الماركسية، وما بينهما، وإن انتفعت بها كلِّها وبوسائلها في البحث والتحليل، وبهذا تتميَّز «كُلِّيَّة التجارة» في جامعة الأزهر.

نريد «المدرسة الإسلاميَّة» في «الاجتماع»، الَّتي تدرس الظواهر الاجتماعيَّة وتُحَلِّلها من منطلق إسلامي خالص، وفي إطار إسلاميٍّ مأمون، لا يستعبدُها فكر اليمين في المدرسة الفرنسيَّة أو الأمريكيَّة، ولا فكر اليسار في المدرسة الماركسيَّة، ولا يقف جهدها عند ما يُسَمَّى «الاجتماع الديني»، ولا عند التغنِّي بابن خلدون ومقدِّمته العظيمة، بل تصنع «خلدونيِّين» معاصرين، يصلون الأمس باليوم.

نريد المدرسة الإسلاميَّة في الفلسفة، الَّتي تبني فلسفة إسلاميَّة أصيلة، تنطلق من مُحْكَمات القرآن لا من فلسفة الإغريق، وتتَّخذ «مُعَلِّمَها الأوَّل» محمَّدًا رسول الله ﷺ، وليس أَرِسْطُوطَالِيس ولا أفلوطين، وتنظر إلى أصول الإسلام وقيمه متحرِّرة من التبعيَّة لشرق أو غرب، أو زيدٍ أو عمرو من ذوي الأسماء الرنَّانة.

لا نريد أن نشغل العقل الإسلامي المعاصر كثيرًا بالمحاولات «التوفيقيَّة» الَّتي جهد فيها الفارابي وابن سينا ومن تبعهم للملاءمة بين الدِّين والفلسفة، أو بين الشريعة والحكمة، كما قال ابن رشد، ولا نريد له أن يظل دائرًا حول «التهافت» و«تهافت التهافت»، ولا أن نضيف إليهما تهافتًا ثالثًا.

QaradawiBooks.com

ولا نريد أن نغرق فيما غرق فيه صاحب «التهافت» الإمام الغزالي الَّذي قال فيه تلميذه الإمام ابن العربي: شيخنا أبو حامد دخل بطون الفلاسفة ولم يخرج منها[١]!

إنَّ المحاولات التوفيقيَّة لمن عُرِفوا في تاريخ الفكر باسم «فلاسفة الإسلام»، قد أثبتت عدم جدواها وخصوصًا في الجانب الإلٰهي من التفكير الإسلامي كما سمَّاه أستاذنا الدكتور محمَّد البهي رَحِمَهُ اللَّهُ، فلم يكن معقولًا أن تتوافق الوثنيَّة اليونانية، والتوحيد الإسلامي، ولم يكن معقولًا أن يُؤوِّل وحي الله المعصوم، ليوافق شطحات العقل الإغريقي في تصوراته الخرافيَّة، عن الكون والأفلاك، والعقول العشرة، والإلٰه الَّذي لا يعلم إلَّا ذاته، كما قال أرسطو، والذي قال عنه «ول ديورانت»: يا لإلٰه أرسطو من إلٰه مسكين! إنَّه كملك الإنجليز، يملك ولا يحكم[٢].

ولعلَّ إلٰه أرسطو أسعد حالًا من إلٰه أفلاطون؛ فقد بلغ به التجريد عنه أنَّه لا يعلم شيئًا حتَّى ذاته نفسها!

وإذا كانت المحاولات التوفيقيَّة قد أخفقت، فأحقُّ منها بالإخفاق والخَيْبة المحاولات «التلفيقيَّة» الَّتي قام بها جماعة إخوان الصفا!

وأولى بالفكر المسلم المعاصر أنْ يستقي فلسفة الإسلام من ينابيعه الصافية، قرآنه وسُنَّة نبيِّه، ومن فهم الراشدين من خلفائه، ومن علم المُحَقِّقين من علمائه، وبخاصَّة علماء الأصول منهم، كما نبَّه على ذلك الشيخ مصطفى عبد الرازق رَحِمَهُ اللَّهُ.

---

(١) درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية صـ ٥، تحقيق محمد رشاد سالم، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود، ط١، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م.

(٢) مباهج الفلسفة صـ ١٦١، ١٦٢، ترجمة د. أحمد فؤاد الأهواني، نشر مكتبة الأنجلو فرنكلين، ١٩٥٦م.

QaradawiBooks.com

إنَّ مهمَّة أيِّ فلسفةٍ إسلاميَّة حقيقيَّة اليومَ ألَّا تعيش على اجترار القديم، ولا تحاول تقليد الحديث، ولا تحبس نفسها داخل أسوارِ مدرسةٍ فلسفيَّة أو كلاميَّة أو تفسيريَّة مُعَيَّنة، بل ترجع إلى الأصول والمنابع، لتقدم الإسلام سليمًا بلا حشوٍ، شاملًا بلا تجزئة، خالصًا بلا شركة، مبيَّنًا بلا غبش، تغوص في أسراره، وتكشف عن خصائصه ومقوِّماته، وتُميط اللثامَ عن أهدافه الكبرى وقيمه العليا، وتحكي نظرته إلى الكون ومُكَوِّنه الأعلى، وفكرته عن الإنسان بمادَّتِه ورُوحه، وعقله وقلبه.. ووجهته المتوازنة في علاقة الفرد بالمجتمع، وارتباط الحياة الأولى بالحياة الأخرى.

ومن خلال هذا المنظور الإسلامي المتميِّز تدرس فلسفات الشرق والغرب، الدينيَّة والبشريَّة، المثاليَّة والواقعيَّة، القديمة والوسطيَّة، والحديثة والمعاصرة، ويحكم لها أو عليها، دون انفراطٍ ولا انغلاق، ولا طغيانٍ ولا إخسار: ﴿ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ۞ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴾ [الرحمٰن: ٨، ٩].

نريد المدرسة الإسلاميَّة في «علم النفس»، فتستخدم كلَّ الأدوات الَّتي تملكها المدرسة النفسيَّة الحديثة، من خلال نظرة إسلاميَّة مستقلَّة إلى الإنسان كلِّه: جسمًا ورُوحًا وإدراكًا ونزوعًا وانفعالًا، مستفيدة من مدرسة «التحليل النفسي» وغيرها دون خضوعٍ مُطْلَق ولا تعصُّب مُغْلق أمام مقرَّراتِها.

نريد «المدرسة الإسلاميَّة» المستقلَّة في التاريخ، وفي التربية، وفي الأخلاق وفي السياسة، وفي غيرها من المجالات.

وبهذا نُحَقِّق ذاتنا، ونملأ موقعنا، ونتبوَّأ مكانتنا، ونعبِّر عن أصالتنا، ونعطي لاستقلالنا معنى، ولوجودنا رسالة، ونصل حاضرنا بماضينا،

QaradawiBooks.com

وتصبح أُمَّــة «الألف مليون» جديرة بقــول ربِّها: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وليس صحيحًا ما يقال: إنَّ هذه العلوم ـ وإن كان الغرب مصدرها ـ فهي عالميَّة الصبغة، موضوعيَّة النتائج، لا تنتســب لغربٍ ولا شــرق، ولا تنتمي لإيمانٍ ولا إلحاد.

ففي هذا الكلام تساهل وتجاوز إلى حدِّ المغالطة؛ فالواقع أنَّ العقائد «الأيديولوجيَّــة» تلعب دورهــا في تكييف هــذه العلوم واســتخدامها والاستنباط منها.

ولهذا نــرى الماركســيِّين مخالفين علــى طول الخــط للمنطلقات الرأســماليَّة والغربيَّة لهذه العلوم وغاياتها، وكثيــر من نتائجها، بخلاف العلوم المادِّيَّة وتطبيقاتها التكنولوجيَّة، فهم شبه مُتَّفِقِين عليها؛ إذ الأصل أنَّها محايدة ليس لها لون، ولا دين، ولا نسبٌ مُعَيَّن.

ولكن فلســفة العلوم المادِّيَّة أو الكونيَّة وطريقــة عرضها وصياغتها تختلف من بيئة لأخــرى، وهذا ما ينبغــي أن يتنبَّه لــه الأزهر خاصَّة، والجامعات عامَّة.

يجب أن تدرس العلوم الكونيَّة في ظلال الإيمــان بالله تعالى، وأن تعطي لمســات ربَّانيَّة تنزع عنها ثوب «المادِّيَّة» الجحود، الَّذي ألبســته إيَّاها أوروبا في عهد هربها من الدين، ومعاداتها لرجاله.

وأن تعــرض القوانين العلميَّة على أنَّها «ســنن الله فــي كونه»، وأنَّ الظواهر الكونيَّة كلَّها من تدبير الله ســبحانه، لا مــن صنع الطبيعة، كما يقال، وأنَّ الوحدة المبثوثة فــي المخلوقات الَّتي نشــاهدها دليل على وحدانيَّة الخالق الَّذي أنشأها وسوَّاها.

QaradawiBooks.com

كما يجب أن تدرَّس العلوم في جامعة الأزهـــر باللغة العربيَّة، الَّتي كتب بهـــا ابن الهيثـــم والخوارزمـــي والرازي وابن ســـينا وابن رشـــد والزهراوي وابن البيطار، وغيرهم من عباقرة علوم الطبيعة والرياضيَّات والفلك وغيرها، ولم تضق العربيَّة بشـــيءٍ ترجموه أو شـــيء ابتكروه، وكانت هي لغة العلم الأولى، بل الوحيدة في العالم لعدَّة قرون.

وقد قام مجمع اللغة العربيَّة في القاهرة، بجهود مشكورة في وضع المقابل العربي للمصطلحات العلميَّة العالميَّة، وقامت مجامع شقيقة له في دمشق وبغداد وعمَّان، ومكتب تنســـيق التعريب في الرباط، بجهود طيِّبة كذلك في هذا المجال، بل قـــام المجمع الأردني بتعريب عدد من الكتب الشـــهيرة الأصيلة فـــي بابها: فـــي الفيزياء والكيميـــاء والإحياء والرياضيَّات، حازت إعجاب أهل الاختصاص، ودلَّت على أنَّنا لا ينقصنا إلَّا صدق الإرادة، وتعاون أهل الخبرة، وتنسيق العمل.

ومن عدَّة عقود من السنين بدأت جامعة دمشق تجربة في ذلك، في تدريس الطبِّ والهندســـة وغيرها بالعربيَّة، ينبغي أن يُستفاد منها، ويُبنى عليها، ويُسْتَكْمَل ما فيها من جوانب القصور.

وإنَّ عيبًا على أُمَّـــة العرب ـ ولديهم أكثر من خمســـين جامعة ـ أن يَعْجِزوا عن تعريب لغة العلم، وفي العالَم أمم دونهم في الشرق الأدنى والأقصى تكتب العلم بلغتها، وتدرِّسه بلسانها.

والأزهر أولى الجامعات أنْ يأخذ زمام المبادرة، ويُعِدَّ نفســـه لأداء هذا الواجب نحو لغة القرآن، ولسان الإسلام، وبهذا يُؤَدِّي خدمة جليلة للعربيَّة وللإسلام وللعلم وللأُمَّة.

QaradawiBooks.com

وها هي إسرائيل بجوارنا قد استطاعت بتصميمها وحُسْن تخطيطها أن تجعل من لغتها العبريَّة ـ وهي لغة ميِّتة ـ لغةَ علم وتأليف وتدريس.

وأغرب من ذلك لغة «رومانيا» من بلاد أوروبا الشـرقيَّة، وهي لغة لا يتكلَّم بها إلَّا بضعة ملايين نسـمة، فرضتها لغة للعلم والدراسـة في جامعاتها، ولم تقل: إنَّ ذلك مستحيل.

مجمع البحوث الإسلاميَّة:

مجمع البحوث الإسلاميَّة هو الوارث لهيئة كبار العلماء، ويمتاز عنها ـ من الناحية الرسميَّة ـ بأنَّ له الصفة العالميَّة، ويجب أن يكون عددٌ من أعضائه من كبار علماء العالم الإسلامي.

وهو كما نصَّ قانون التطوير: «الهيئة العليا للبحوث الإسلاميَّة، وتقوم بالدراسـة في كلِّ ما يتَّصل بهذه البحوث، وتعمل علـى تجديد الثقافة الإسلاميَّة، وتجريدها من الفضول والشـوائب وآثار التعصُّب السياسي والمذهبي، وتجليتها في جوهرها الأصيل الخالص، وتوسيع نطاق العلم بها لكلِّ مسـتوى، وفي كلِّ بيئة، وبيان الرأي فيما يجدُّ من مشـكلات مذهبيَّة أو اجتماعيَّة تتعلَّق بالعقيدة وحمْل تَبِعة الدعوة».

فهل أدَّى المجمع هذه الرسالة، وقام بحقِّ هذه المهمة؟! وهل يضمُّ من الرجال الأقوياء الأمناء من ينهض بالعبء؟!

لقد ضمَّ المجمع في سنواته الأولى عددًا لا بأس به من كبار العلماء الَّذين شـهدت لهم آثارهم بطول الباع في معرفة القديم وفهم الجديد، وخصوصًا من علمـاء مصر، وإن كان أُخِذَ عليه أنَّـه لم يَضُمَّ رجالًا من عمالقـة الفكر عرفهم العالم الإسـلامي كلـه، من أمثـال أبي الأعلى

QaradawiBooks.com

المودودي، وأبي الحسن الندوي، ومصطفى الزرقا، ومحمد المبارك، وغيرهم ممَّن لم ترضَ عنهم السياسة المصريَّة حينذاك.

وهذه النقطة هي موضع الخطر في تكوين المجمع واختيار أعضائه إلى اليوم، فلا زالت الاعتبارات السياسيَّة المَحَلِّيَّة ـ بجوار اعتباراتٍ داخليَّة أخرى ـ هي الَّتي تُوجِّه الترشيح وتتحكَّم في الاختيار. ولهذا حُرِمَ المجمع من شخصيَّات مصريَّة وعربيَّة وإسلاميَّة، لها وزنها وقدرها في ميدان العلم والفكر الإسلامي، على حين دخل المجمع من لا يُعرف له كتابٌ يُقرأ أو إنتاجٌ يُذكر، بل هو كما يقول الفقهاء في بعض أنواع الماء: «طاهرٌ في نفسه، غير مُطهِّر لغيره»! حتَّى انتهى المجمع أخيرًا إلى حالة من الركود والرقود، أشبه ببُحَيْرة من الماء الآسن!

ولم نرَ لهذا المجمع منذ سنين أيَّة بحوثٍ جادَّة تدلُّ على أنَّه لم يزل على قيد الحياة! والواجب إعادة النظر في تكوين المجمع، حتَّى تدُبَّ فيه الروح، وتعود إليه الحياة والحركة، وتعود معه الثقة إلى المسلمين في العالم بالأزهر وعلم الأزهر، وعلماء الأزهر. أمَّا أن يظلَّ كما هو الآن، مبنًى بلا معنى، وتمثالًا بلا رُوح، ينطق العالَمُ وهو صامت، وتتحرَّك الحياةُ وهو ساكن، فعدمُه حينئذٍ خيرٌ من وجوده، ولا حول ولا قوَّة إلَّا بالله.

* * *

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

خاتمة

مطلوب للأزهر كما هو مطلوب منه:

بقيتْ وقفةٌ لا بدَّ منها لكي ننصف الأزهر:

طالبنا الأزهر بالكثير من الواجبات، ومن الإنصاف أن نطالب له بالحقوق، فكلُّ واجبٍ يقابله حقٌّ.

من حقِّ الأزهر أنْ تُوفَّر له الحُرِّيَّة الكاملة في أداء أمانته، وتطلق يده في الدعوة والتوجيه، حتَّى يقول ما يريد لا ما يُراد له، ويُعلِّم ما يوجبه الإسلام لا ما تفرضه السلطة، ويُقدِّم ويؤخِّر حسب مراتب الناس في الدين والعلم، لا وفق درجاتهم في القرب من السلطان أو البعد عنه.

لا بدَّ أن تُرفَع الأيدي عن الأزهر، ويُبعد عنه سيف الإرهاب وسوط التخويف؛ فالإرهاب لا ينتج إلَّا عبيدًا، أمَّا الأبطال من الدعاة والمُرَبِّين، فلا يُنْتجهم إلَّا مناخ الحُرِّيَّة.

ومن حقِّ الأزهر أن يوفَّر له المال اللازم، حتَّى يقوم بالدعوة والتعليم على مستوى مصر، ومستوى العالم العربي، ومستوى العالم الإسلامي،

QaradawiBooks.com

ومستوى العالم الإنساني، وحتى يستطيع مقاومةَ الخطط الجهنميَّة ضد الإسلام، الَّتي يُعِدُّها له الشيوعيُّون واليهود والنصارى.

لقد نشرت الصحف والمجلات أنَّ المبشرين البروتستانت في أمريكا عقدوا في سنة ١٩٧٨م مؤتمرًا لهم في ولاية «كولورادو» من الولايات المتَّحدة، أطلقوا عليه «مؤتمر تنصير المسلمين في العالم»، ورصدوا لهذه الغاية ألف مليون دولار! وقد اتَّسمت أبحاثه بالجِدِّيَّة، وقراراته بالسِّرِّيَّة، ولم يعمدوا فيه إلى كثرة الكلام، بل إلى التخطيط والتنظيم، وقد شرعوا في التنفيذ، فوفَّروا المال، وأعدُّوا الرجال. ولا غرو أن أطلق عليه بعض من نشر الخبر عنه «مؤتمر حكماء كولورادو» تشبيهًا له بمؤتمر «حكماء صهيون»، الَّذي أسفر عن القرارات والبروتوكولات الشهيرة الَّتي كان يُظَنُّ أنَّها مغرقة في الخيال، فإذا هي تُنَفَّذ بالفعل، على وَفْق ما أراد واضعوها، سواء كانت هذه البروتكولات حقيقة أم أسطورة، كما يرى الكثيرون وأنا منهم!

فهل تهيَّأ للأزهر المال؟ وهل أُعين على إعداد الرجال؟

ومن حقِّ الأزهر أن يكون أزهر المسلمين جميعًا لا لمصر وحدها، ومعنى هذا أن يكون له الصفة العالميَّة الإسلاميَّة لا الصفة الإقليميَّة المصريَّة، وهذا يوجب أن يكون للمسلمين رأي في توجيه الأزهر، وفي اختيار شيخ الأزهر، وطالما اقترح المخلصون من علماء الأزهر أن يكون شيخه الأكبر منتخبًا من علماء المسلمين وليس معيَّنًا من سلطة تنفيذيَّة مَحَلِّيَّة، وبهذا يصبح شيخًا للإسلام بالفعل، لا مُجَرَّد شيخ الأزهر.

ومن حقِّ المسلمين على الأزهر: ألَّا يُورِّط نفسه في السياسة المَحَلِّيَّة، وتقلُّبات أهوائها، فيغدو لها تابعًا، بعد أن كان متبوعًا، وسامعًا

QaradawiBooks.com

بعد أن كان مسموعًا، تَطْلُب منه الفتاوى لتبرير تصرُّفاتها، وتُوعِزُ إليه بتأييد مواقفها ودعم سياستها، فيسارع إلى البيانات ينشرها، والتهنئات يُزجيها، وكثيرًا ما يُغَيِّر الساسة مواقفهم، فينتقلون من يمين إلى يسار، أو من شرق إلى غرب، أو من حرب إلى سلام، أو بالعكس.. ولا يجدون هم في ذلك حرجًا؛ فالسياسة عندهم لا ثبات لها، وهنا يراد من الأزهر أن يُحَلِّل ما كان قد حَرَّم، أو يُسقط ما كان قد أوجب، أو يثبت ما كان قد نفى، فيستجيب ويفعل، بدعوى أنَّ اجتهاده قد تغيَّر! والشعوب لا تُصَدِّق هذا، بل تقول: إنَّه أُمِرَ فأطاع، أو رُغِّب فرَغِبَ، ورُهِّب فرَهِبَ! وبخاصَّة أنَّ القضيَّة الَّتي هي موضوع الفتوى واحدة، والظروف هي هي لم تتغيَّر، والمسرح بقصَّته وممثِّليه ونظارته ومديريه لم يتبدَّل منه شيء!

ومن حقِّ الأزهر وحقِّ الإسلام على الساسة والحكام في مصر: أنْ يُنَزِّهوا الأزهر عن تقلُّبات السياسة، وألَّا يورِّطوه في مشكلاتهم، ويُعَرِّضوه للتُّهمة من جماهير المسلمين في الشرق والغرب، ويسقطوا من هيبته الَّتي اكتسبها على مرِّ القرون.

ولو أنَّهم فعلوا ذلك وارتَقَوْا بالأزهر عن دوَّامة السياسة الإقليميَّة المتبدِّلة، لحفظوا للأزهر مكانته العربيَّة والإسلاميَّة والعالميَّة، ولكسبوا بذلك لمصر مكانةً عظيمةً في أُمَّة الإسلام، مكانةً يحرص عليها كلُّ من كان له لبٌّ.

أقول هذا وأنا أعلم أنَّ الساسة عندما يخوضون معاركهم مع خصومهم لا يُبالون بشيء، ولا يسمعون لهذه النصائح المثاليَّة، وإنَّما يُجَنِّدون كلَّ شيء ـ حتَّى الدِّين ومراكزه ورجاله ـ للتغلُّب على خصومهم!

QaradawiBooks.com

ولهذا يبقى الأمر أمر الأزهر ذاته، عليه أن يَقْدُر قَدْرَ نَفْسِـــه، ويضع نُصْـــبَ عَيْنَيْه قولَ الله تعالى لرســـوله: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۞ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الجاثية: ١٨، ١٩].

* * *

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

الفهارس العامة

- فهـرس الآيات القرآنيـة الكريمة.
- فهرس الأحاديث النبوية الشـريفة.
- فهرس الموضوعات.

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الآيـــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة البقرة		
﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ﴾	٤٤	٧٧
﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾	١٤٣	١١٠
﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ ﴾	١٨٥	٥٥
سورة آل عمران		
﴿ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ ﴾	٧٥	٢٤
﴿ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴾	٧٩	٥٤
﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾	١٠٤	٥٣
﴿ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ﴾	١٥٩	٥٨
سورة النساء		
﴿ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ﴾	٥٩	٤٢
﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾	١٣٦	٨٦

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة المائدة		
﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ﴾	٣	١٤
﴿لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾	٦٠	٢٥
سورة الأنعام		
﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾	٨٢	٧٢
سورة الأعراف		
﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾	٣٢	٧٠
﴿يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ﴾	١٥٧	٥٧
﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾	١٥٨	٦٣
﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾	١٧٥، ١٧٦	٧٨
سورة الأنفال		
﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾	٧٣	٤٩
سورة التوبة		
﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا۟ فِى ٱلدِّينِ﴾	١٢٢	٦٢
سورة يونس		
﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ﴾	٨٣	١٥
سورة يوسف		
﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ﴾	١٠٨	٦٤
سورة الرعد		
﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ ۗ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ﴾	٢٨	٧٢

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة النحل		
﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾	٤٣	٥٩
سورة الكهف		
﴿نَّحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ نَبَأَهُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّهُمۡ فِتۡيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمۡ﴾	١٣	١٥
سورة الأنبياء		
﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾	١٠٧	٥٧، ٦٤
سورة الحج		
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ﴾	٧٧، ٧٨	١٤
سورة النور		
﴿يَكَادُ زَيۡتُهَا يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖ﴾	٣٥	٢٨
سورة الفرقان		
﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾	١	٦٣
سورة الروم		
﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَا﴾	٣٠	٧٠
﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ﴾	٤١	٢٤
سورة الأحزاب		
﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخۡشَوۡنَهُۥ وَلَا يَخۡشَوۡنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾	٣٩	٥١
سورة فاطر		
﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًا﴾	١٠	٨٤

غير مرخصة للطباعة

QaradawiBooks.com

الآيـــــــــة	رقم الآية	رقم الصفحة
سورة فصلت		
﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾	٣٣	٥١
سورة الجاثية		
﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا﴾	١٨، ١٩	٤، ١١٨
سورة الذاريات		
﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾	٥٠	١٧
سورة الرحمٰن		
﴿أَلَّا تَطْغَوْاْ فِى ٱلْمِيزَانِ ۞ وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ﴾	٨، ٩	١٠٩
سورة الحديد		
﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾	١٣	٨١
سورة الجمعة		
﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُواْ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ﴾	٥	٧٨
سورة المنافقون		
﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾	٨	٨٣
سورة البينة		
﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾	٥	٨٣

❊ ❊ ❊

غير مرخصة للطباعة
نسخة مجانية

غير مرخصة للطباعة

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الحديث	رقم الصفحة
أ	
اللهمَّ إنِّي أعوذُ بك من علمٍ لا ينفع، وقلبٍ لا يخشع	٧٧
إنَّ الله وملائكته وأهل السماوات والأرضين حتى النملة في جُحْرها	٥، ٥٧
إنَّك تأتي قومًا أهل كتاب، فادعُهم إلى أنْ يشهدوا أن لا إلٰه إلَّا الله	٥٦
إنَّ الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه، أوشك أن يَعُمَّهم اللهُ بعقابٍ	٥٣
العلم عِلْمان: علمٌ على اللسان، فذلك حُجَّة الله تعالى على خلقه	٧٨
ك	
كتابُ الله فيه نبأُ ما قبلكم، وخبرُ ما بعدكم، وحكمُ ما بينكم	٥، ١٧
ل	
لا تزولُ قدما عبدٍ يومَ القيامةِ حتَّى يُسأل عن أربعٍ: عن عمره فيما أفناه	١٦
لا تَعَلَّموا العلمَ لتباهُوا به العلماء، ولا لتُمارُوا به السفهاء	٨٣
م	
من تعلَّم علمًا ممَّا يُبْتَغَى به وجهُ الله تعالى ليصيب عَرَضًا من الدنيا	٨٣
ي	
يَسِّرا ولا تُعسِّرا، وبَشِّرا ولا تُنفِّرا	٥٥

نسخة مجانية

QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية

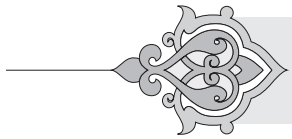

فهرس الموضوعات

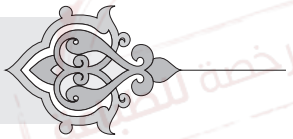

❖ من الدستور الإلٰهي للبشرية ٤

❖ من مشكاة النبوة الخاتمة ٥

• **مقدمة** ٧

لجنة البعث الأزهري ١٠

* أهدافها ١٠

* وسائلها ١٠

القضيَّة الكبرى ١٣

واجبنا مضاعف ١٤

* أنت يا أخي مسلم ١٤

* وأنت أخي شابٌّ ١٤

* وأنت يا أخي مثقَّف ١٦

* وأنت يا أخي أزهري ١٦

* يا أبناء الأزهر ١٧

* والآن يا أخي الأزهري ١٨

* يا شبابَ الأزهر ١٨

QaradawiBooks.com

❖ **رسالة الأزهر بين الأمس واليوم والغد** **٢١**
عالم اليوم في حاجة إلى منقذ ٢١
حاجة البشريَّة إلى أُمَّة ذات رسالة ٢٤
أُمَّة اليهود لا تصلح لحمل رسالة الإنقاذ ٢٤
الأمم المسيحيَّة لا تصلحُ للإنقاذ ٢٦
الأُمَّة الإسلاميَّة وحدَها المرجوَّة للإنقاذ ٢٧
رسالة العالم العربي ودوره في أُمَّة الإسلام ٢٨
دور مصر في رسالة الإنقاذ ٣٢
رسالة الأزهر في إنقاذ البشريَّة ٣٥
شهادة التاريخ ٣٦
الأزهر في مقاومة الاحتلال ٣٨
الأزهر في مقاومة الاستبداد ٣٩
فترة الركود والتخلُّف ٤٣
رسالة الأزهر اليوم ٤٧
الأزهر مصنع للدعاة إلى الله ٤٩
الأزهر حامل رسالة الإصلاح والتوجيه للمجتمع ٥٢
واجب الدعوة والتوجيه ٥٣
واجب تنوير العامَّة ٥٤
واجب توجيه الخاصَّة ٥٥
واجب ترشيد الصحوة ٥٧
الأزهر والعالم الإسلامي ٥٨
الأزهر وهداية العالم ٦٣

QaradawiBooks.com

❖ **عوامل النجاح ومقوِّماته في رسالة الأزهر** **٦٥**

أوَّلها: استعداد شعوبنا للتديُّن، وتقبلها لفكرة الإسلام ٦٥

ثانيها: عظمة الرسالة الَّتي يدعو الأزهر إليها: رسالة الإسلام ٦٩

ثالثها: حاجة العصر الَّذي نحن فيه ٧٢

❖ **مُقوِّمات النجاح** **٧٤**

١ ـ الدراسة الواعية للإسلام وللعصر ٧٤

٢ ـ القدوة الحسنة ٧٧

٣ ـ أخلاق العلماء ٧٩

أ ـ الشجاعة ٨٠

ب ـ الزهد ٨١

جـ ـ الإخلاص ٨٢

د ـ العزَّة ٨٣

٤ ـ الدعوة والحركة في المجتمع ٨٤

إذا غاب الأزهر ٨٥

١ ـ ظهور التفكير المادي ٨٦

٢ ـ التفكير المُخرِّف ٨٦

٣ ـ التفكير الديني المتطرِّف ٨٧

❖ **الأزهر والنقد الذاتي** **٨٩**

انتقاء الطلاب ٩٠

انتقاء الأساتذة ٩٢

أهمِّيَّة الجامعة ٩٥

نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

مراجعة المناهج ٩٦
علم التوحيد ٩٧
علم الفقه ١٠١
* **قضيَّة القديم والجديد** ١٠٤
مجمع البحوث الإسلاميَّة ١١٢

- **خـاتمـــة** ١١٥
- **فهرس الآيات القرآنية الكريمة** ١٢١
- **فهرس الأحاديث النبوية الشريفة** ١٢٥
- **فهرس الموضوعات** ١٢٧

❊ ❊ ❊

غير مرخص للطباعة
نسخة مجانية
QaradawiBooks.com

غير مرخصة للطباعة

نسخة مجانية